

سَلَامَةُ الصُّدُورِ

وَأَثَرُهُ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ

تأليف

أبي يحيى

محمد بن عبد

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

رقم الإيداع

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ تَعَالَى فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ
يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢)
آل عمران.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَالَ الْأَرْحَامِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١)
النساء .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) ﴿الْأَحْزَاب .

وبعد...

فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر

الأُمُورِ محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

ثمَّ أمَّا بعدُ: فإنَّ لسلامة الصدر الأثر البالغ في راحة العبد وإصلاح المجتمع من الغلِّ والحقد والحسد والضغائن التي تنشر الرزائل والبلايا وتجلب الفرقة ، وتزيد الإحن بين الأفراد والأسر والأصدقاء.

وسلامة الصدر معناها: عدم الحقد والغلِّ والبغضاء.

وكم من أخوين أبناء رجل واحد خرجا من بطن واحدة حصل بينهما ما أدى إلى القتل والعقوق والمفاسد بسبب ما في الصدر مما ذرعه الشيطان وسقاه حتى قتل أحدهما الآخر.

وتأمل أول معصية كانت على وجه الأرض من قتل أحدهما أخاه بسبب حسده أن تقبل الله من أخيه ولم يتقبل منه هو .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴿٧٨﴾ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ

النَّارَ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ
فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴿ المائدة.

كان سبب قتله الحسد أن تُقبِلَ من أحدهما، ولم يُتقبَل من الآخر.
رأيت؟

فهذا نبينا محمد ﷺ :

كم أساء كفار مكة إليه.

أربعون عامًا يلقَّبُ لديهم بالصادق الأمين، لا يغدر ولا يكذب،
ليس من طلاب دنيا.. صاحب ورقة بيضاء لا تهمة تمسُّه قط وشهدوا
له بذلك بنصوص عنهم تواترت!

ولما بُعث إليه، اقتسموا فيه إفكهم:

فبعضُهم يقول عنه: ساحر، وبعضهم يقول عنه: كاهن،
وبعضهم يقول: مجنون، وبعضهم يقول: كذاب، وبعضهم يقول:
مفتري...

ولا والله ما أكذب ولا أغدر ولا أكثر طلبية للخسيس من الدنيا
منهم، بل وتالله كانوا أجمع أهل الأرض للخباثت معتقداً وطباعاً .

حصروه في شعب أبي طالب وقاطعوه ومن معه من أصحابه
 حتى أكلوا ورق الشجر من الجوع، وحاولوا قتله، وأخيرًا
 هرب منهم وهاجر إلى المدينة، فما تركوا له من ربيع أو دور، بل
 باعوها كما فعلوا في ممتلكات بقية من كان على ما هو عليه.
 قتلوا أصحابه، وآذوا بعضهم، عذبوهم بأشدّ ألوان العذاب،
 حتى مات بعضهم في التعذيب، فهاجروا إلى الحبشة الهجرة الأولى،
 فما تركوهم بل بعثوا في إثرهم وفدًا ليردّهم النجاشي ملك الحبشة
 إليهم ليُعذبوهم، وبعضهم هاجر إلى المدينة أرض البواء والحمى التي
 وهنتهم حمّاها.

وحاربوهم في غزوة بدرٍ وأحد والأحزاب وغيرها من المواطن،
 وألبوا عليه وعلى أصحابه ~~هشتم~~ العرب، وصدّوهم عام الحديبية عن
 البيت الحرام - الذي جعله الله مثابة للناس وأمنًا - وقد جاءوا
 معتمرين، لا يريدون قتالًا.

كل هذه الحروب سببها الحسد الذي بدا منهم فيما أخبر الله عنهم: ﴿

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ الزخرف.

وما علاقة قبول الحق بعظم قائلة أو حقارته؟!

فالحق واجب قبوله ممن جاء به ولو من أرذل الناس وأحقرهم.
وتم روايات مفادها أن سبب كفر صناديد الكفر هو حسد بني
عبد مناف، فمنعهم ما في صدورهم من حسد أن يؤمنوا بالنبي ﷺ
فكفروا به حسدًا له ولشعبه^(١).

(١) وهي أول معصية سببت قتل ابن آدم الأول أخاه، ابن أمه وأبيه، وقطع الرحم،
وعقّ الوالدين وسنّ القتل في بني آدم إلى قيام الساعة، وأسعد الشيطان،
وأغضب الرحمن....

كل ما كان من سبب ذلك أن تقبل الله قربان أخيه ولم يتقبل منه هو.
وتلك جريمة اليهود كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۝﴾ النساء.
بل هي جريمة أهل الكتابين: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْلَمُوا ۚ وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ البقرة.
وهي السبب الأعظم الحامل لابن سلول على الكفر، والحامل لكفر مكة وغيرهم
من قبائل العرب على الكفر، أن الرسالة والنبوة لم تنزل على رجل منهم.

ومع كل هذا لما رجع عليهم فاتحاً مكة بعشرة آلاف مقاتل لا يدان لأحد منهم بقتالهم وبدؤوا في حصدهم حصداً، ثم جُمعوا لصاحب الصدر السليم عليه السلام أمامه فسألهم:

«يَا أَهْلَ مَكَّةَ مَاذَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟».

قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال:

«اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ»، فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ كَانَ اللَّهُ أَمْكَنَهُ مِنْ رِقَابِهِمْ عَنُوءَةً، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَهْلُ مَكَّةَ الطُّلُقَاءَ. قالوا أخ كريم وابن أخ كريم، فقال ﷺ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ»^(١).

فنعم المثال في سلامة الصدر.

ولقد وصفه شريكه في الجاهلية السائب بن أبي السائب العابدِيُّ
وكان شريك رسول الله ﷺ في الجاهلية.

(١) وإن كان هذا على شهرته لا إسناد يثبت له فيما وقفت عليه، إلا أن عفوه عنهم وتسميتهم بالطلقاء ثابت، وهو كفعل يوسف عليه السلام حين قال لأخوته «لا تثريب عليكم اليوم».

فَعَن إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُهَاجِرٍ، عَن مُجَاهِدٍ، عَن قَائِدِ السَّائِبِ، عَن
السَّائِبِ بْنِ أَبِي السَّائِبِ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «كُنْتَ شَرِيكِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ،
فَكُنْتَ خَيْرَ شَرِيكِ، لَا تُدَارِي وَلَا تُتَارِي»^(١).

ولذلك تعجب رسول الله ﷺ من كلام ورقة بن نوفل حينما قال
له: «... يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ
مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُّؤَزَّرًا»^(٢).

فتعجب ﷺ آنذاك من إخراجهم له ومن عداوتهم له بلا موجب
منه لكونه لا يكن لهم في صدره إلا كل خير، ونفع، وبركة، ومحبة
الخير لهم، وأن المنتظر أن يبادلوه نفس الشعور وينقادوا للحق الذي
جاء به من عند الله.

(١) أخرجه أحمد (١٥٥٠٢) وأبو داود (٤٨٣٦) وغيرهما كثير وسنده لا بأس به إن شاء الله، وفي سنده إبراهيم بن مهاجر فيه لين لكن عدله غير واحد، فهو كما

لخص حاله الحافظ فقال: «صدوق فيه لين».

(٢) والحديث في الصحيحين.

وهذا إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ الصافات.

أي سليم الصدر بقلب سليم من الشرك، مخلص له التوحيد،
وسليم مشفق على أهل الشرك يدعوهم إلى دار السلام .

فجُزم أن لا ينتفع الإنسان في الآخرة إلا بالقلب السليم.

فدعا ربه سبحانه فقال عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ
بِالصَّالِحِينَ﴾ (٨٣) وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ
جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَعْفِرْ لَائِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ
لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴿الشعراء (١)﴾.

(١) قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٣٣٧ / ١٠): «وَهُوَ سَلَامَةُ الْقَلْبِ عَنْ

الِإِعْتِقَادَاتِ الْفَاسِدَةِ. وَالْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ».

وقال ابن القيم في «الإغاثة» (٧ / ١): «اختلفت عبارات الناس في معنى القلب

السليم، والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله

ونهيهِ، ومن كل شبهة تعارض خبره».



فسلامة الصدر من أسباب دخول الجنة.

ويرحم الله قاسماً الجوعي^(١) حين قال: أصل الدين: الورع،
وأفضل العبادة: مكابدة الليل، وأفضل طرق الجنة: سلامة الصدر^(٢).

وهذا نبي الله يوسف عليه السلام:

مثال لمن سلم صدره، بخلاف إخوته الذين لم تسلم صدورهم
من ناحيته بسبب حب أبيه له، فكادوا له كيّداً، وتشاوروا فمن قائل:
اقتلوه يخل لكم وجه أبيكم، ثم توبوا من ذلك وتكونون من بعده
قوماً صالحين، ومن قائل شفقةً عليه: ألقوه في غيابة الحب يلتقه
بعض السيارة إن كنتم فاعلين، ووقع اختيارهم على هذا، فاجتباه ربه
وعلمه من تأويل الأحايث وأتم نعمته عليه حتى احتاج الملك له
يوماً إلى تأويل رؤياه، فأولها له بعدما لبث في السجن بضع سنين،

(١) وهو الجوّعيُّ أَبُو عَبْدِ الْمَلِكِ الْقَاسِمُ بْنُ عُثْمَانَ الْعَبْدِيُّ الْإِمَامَ الزَاهِدَ الْقُدْوَةَ، قَالَ
أَبُو حَاتِمٍ: صَدُوقٌ.

(٢) أخرجه أبو الحسين عبد الوهاب بن الحسن الكلابي في «جزئه» (٢٨) وأخبرنا
سعيد قال: سمعت قاسماً الجوعي.. فذكره.

فقال له الملك بعد أن كلّمه: إنك اليوم لدينا مكين أمين، فجعله على خزائن الأرض وزيراً له يتحكّم في توزيع أرزاق الناس، وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون.

فلو رأيتمهم وهم يقولون له: ﴿تَاللّٰهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخٰطِئِينَ﴾ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفُرُ ٱللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ يوسف.

رأيت أثر سلامة الصدر لمن آذوه يوماً فألقوه في الحب، وفرّقوا بينه وبين أبيه، ولبث بسبب ذلك في السجن بضع سنين، وقضى زمناً عبداً عند امرأة العزيز، وكم تنكّد عليه من عيشه؟

ولقد امتاز الأنبياء عليهم السلام بسلامة الصدر فكانوا علماً للناس، ولا عجب فهم أئمة يهدون بأمر الله.

وقد قال تعالى: ﴿أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللّٰهُ فَيَهْدِيهِمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعٰلَمِينَ﴾ (٩٠) الأنعام.

وكم من أسرتين أو متصافيتين، أو متآخيتين فرّق بينهما ما في صدر الطّرف الآخر من فقد سلامة الصدر.

والعكس كم من إنسان دام الخير بينهما بسبب سلامة صدور كل منهما نحو الآخر، فليس في قلب أي منهما شيء من خفايا الصدور سوء فدام الودُّ والصفاء بينهما عمراً بل أعماراً.

خاصة أن سلامة الصدر من أعمال القلوب التي تحمل على العمل الصالح وإصلاح ذات البين، والبُعد عن ذميمة الأخلاق، وأرذلها.

ولو لم يكن من فوائد سلامة الصدر إلا راحة البال واطمئنان النفس، وقبول العُذر ممن جاء به لكفى بذلك فائدة ونعمة.

فالحسد يأكل دين المؤمن كالأكلة في جسده، وهو شر على صاحبه قبل غير، أنه يأكل قلبه ويؤرِّق جفنه، ويقض مضجعه. فلا يجوز الحسد حتى للكافر لأن في الحسد نوع اعتراض على قضاء الله وقدره.

وقد قال الفقيه أبو الليث السمرقندي، رحمة الله تعالى عليه:

يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى

المحسود، **أولاهها: غم لا ينقطع. الثانية:**

مصيبة لا يؤجر عليها، **الثالثة: مذمة لا يحمد عليها، الرابعة:**

سخط الرب، **الخامسة:** يغلق عنه باب التوفيق^(١).

ولذا قال ابن الجوزي: لا ينبغي أن تطلب لحاسدك عقوبة أكثر مما

فيه، فإنه في أمر عظيم متصل، لا يرضيه إلا زوال نعمتك، وكلما امتدت، امتد عذابه، فلا عيش له! وما طاب عيش أهل الجنة إلا حين نزع الحسد والغل من صدورهم، ولولا أنه نزع، تحاسدوا، وتنغص عيشهم^(٢).

فسلامة الصدر تجعل صاحبها لا يحمل غلاً ولا حقدًا ولا حسدًا ولا بغياً، ويكثر أجره وحسناته بتحقيق تلك العبادة القلبية.

وتنبّه!

من لم يسلم صدره عادى إخوانه وحقّد عليهم، ونقم وتسخط عليهم وحكم بهلاكهم، وحاربهم وألب عليهم لهوى في نفسه.

كمثال بعض طلاب العلم ممن لم تسلم صدورهم فيحوّلون بين الطلاب وبين المشايخ حبًّا للظهور (وهو قاسم الظهور) والاستئثار

(١) «المستطرف في كل فن مستطرف» للأبشيهي ص ٢٢١

(٢) «صيد الخاطر» ص ٤٦٣

بالفائدة فيوجهونهم بمعزل عن الشيخ - وبغير تأهيل - إلى الانتقال من عند الشيخ، والاكتفاء بالذات عنه.

وهذا تغييب حقيقة النصح الواجب، الذي هو الدلالة على المشايخ الكبار للاستفادة منهم وأمر الناس بالتمسك بغرزهم، والالتفاف حولهم واحترامهم.

وإن لرؤية النفس، وحبّ المشيخة وعجلة الظهور مغبةٌ سوء.

وكم يحصل من الجيران والأرحام والأصحاب من نكدٍ ووقعة من جرّاء عدم سلامة صدورهم.

وقد أخرج هناد^(١) بسند حسن عن سُفْيَانِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: قُلْتُ
لِأَبِي بَشِيرٍ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَعْمَالٍ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا؟
قَالَ: «كَأَنَّا يَعْمَلُونَ يَسِيرًا وَيُؤْجِرُونَ كَثِيرًا» قَالَ: قُلْتُ: وَلِمَ ذَاكَ؟
قَالَ: «لِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ».

ولا تجد في القرآن الكريم كيدًا لأهل الإيمان في مقابلة كيد الكفار
لسلامة صدور أهل الإيمان عن مثل ذلك، وإنما كيد الله في مقابلة كيد

(١) في «الزهد» (٢/ ٦٠٠).

الكفار.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكْرَ اللَّهِ^ط وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ^{٥٤}﴾ آل عمران:

٥٤

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ^ج
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ^ط وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ^{٣٠}﴾ الأنفال: ٣٠

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَكُرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ^{٥٠}
فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ^{٥١}
﴿النمل: ٥٠ - ٥١﴾

فليس لأهل الإيمان مكر في مقابلة مكر الكفار نظرًا لسلامة
صدورهم، وإنما يمكر الله لهم بأعدائهم.

وكذلك الاستهزاء لا تجد استهزاءً من أهل الإيمان في مقابلة
استهزاء الكفار لسلامة صدورهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا
إِنَّمَا عَمْرُنُ لِمَ نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ^{١٤}﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ^{١٥}﴾ البقرة: ١٤ - ١٥

وكم تجد استهزاءات كثيرة تقع من الكفار بالمؤمنين وبتعاليم الدين والأنبياء، ولا تجد في القرآن من هذا شيئاً عن أهل الإيمان. وذلك والله أعلم لأنَّ المؤمنَ غرَّ كريم، والفاجرُ خبٌّ لئيم^(١).
وها نحن نتناول ما يتعلّق بهذا الموضوع مما يحث عليه مع بيان منزلة سلامة الصدر من الشريعة.

وفائدة تحقيق ذلك والدعوة إليه وشحن الهمم لمجاهدة النفس على ذلك :

سلامة الصدور للأصحاب، وسلامة الصدور للأرحام
وللمسلمين ، سلامة الصدور للجيران.

(١) وقد أخرج أبو داود (٤٧٩٠) والترمذي (١٩٦٤) وغيرهما عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « الْمُؤْمِنُ غُرٌّ كَرِيمٌ، وَالْفَاجِرُ خَبٌّ لَيْئِمٌ ». وهو حديثٌ حسنٌ إن شاء الله .

ومعنى الحديث: أن المؤمن ليس بذئٍ نُكِرٍ، فهو ينخدع لانقياده ولبينه، وهو ضد الخب، يريد أن المؤمن المحمود من طبعه الغرارة، وقلة الفطنة للنشر، وترك البحث عنه، وليس ذلك منه جهلاً، ولكنه كرم وحسن خلق.

ومن محاسن هذا الخلق العظيم:

أن أهل الجنة اتصفوا به في آيتين من كتاب الله، فقال تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقَابِلِينَ﴾ (٤٧) الحجر .

وقال ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ (٤٣) الأعراف .

والجنة متاع، فكما أن سليم الصدر يتمتع في الدنيا براحة البال، وطمانينة يجدها في قلبه، فخلقه هذا ممتد حتى بعد ما يدخلون الجنة.

قال ﷺ عن أهل الجنة: «لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»^(١).

وقال ﷺ: «... وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُّقْسِطٌ مُّتَصَدِّقٌ مُّوَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَّحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ وَمُسْلِمٌ ...»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٥) ومسلم (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

فما كانت تلك الرقة لهم إلا لسلامة صدورهم لأقاربهم وإخوانهم

وقد ساعد ﷺ الصحابي على تحقيقه:

ففي الصحيحين عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَرْوَرُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَأَنْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدَفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا»^(١).

وفي لفظ حديث أنس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ مَعَ إِحْدَى نِسَائِهِ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَدَعَاهُ، فَجَاءَ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ هَذِهِ زَوْجَتِي فُلَانَةُ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ كُنْتُ أَظُنُّ بِهِ، فَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٣٢٨١) ومسلم (٢١٧٥).

(٢) هذا لفظ رواية مسلم (٢١٧٤).

كما مدح النبي ﷺ أصحاب القلوب النقية:

فأخرج عبد الله بن وهب^(١) بسند صحيح عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «نعم القوم الأزد، طيبة أفواههم، نقية قلوبهم، برة أيماهم».

وكان من البواعث لي على الكتابة فيه:

فقر كثير من الدعاة عند الكلام فيه، عن مادته العلمية، فما يملك المتكلم فيه من النصوص الشرعية إلا الأحاديث الضعيفة والقصص الواهية عن السلف والصالحين:

من مثل حديث: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»^(١).

(١) في «الجامع» (٤٥) وأحمد (٨٦١٥).

(٢) الذي أخرجه أبو داود (٤٨٦٠) وغيره كثير وهو حديث ضعيف لا يصح.

وحدیث: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، تَنْطَفُ حَيْثُهُ مِنْ وَضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ... الحديث» (٢).

(١) مع أنه منكر المتن، فقد نقلت للنبي ﷺ والخلفاء من بعده أخباراً وأحوالاً لا يأتي عليها الحصر وفي النقل تحقيق مصالح ودرء مفاصد لا يمكن أن تتحقق إلا بإبلاغه عن أصحابه الأشياء فتنبه.

(٢) **وتمامه:** فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَأَحْيَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسُ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لَصَلَاةِ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْفِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ نَمَ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَارٍ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَتْ أَنْتَ

ذاك الحديث المعلول السند، المنكر المتن، الذي يُصَوِّر عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه كذاباً متلصّصاً يتجسّس على من ضيفه وأكرمه ويأتي نهي النبي ﷺ عن التجسس، كما يصوره عاقاً لوالده عمرو بن العاص رضي الله عنه ^(١)، كما يصور الصحابة رضي الله عنهم بالعجز عن قدرتهم على تحقيق سلامة الصدور!

فتأمّل حينما يعمد أحد القُصّاصِ الذي أدّاه جهله إلى الوقوع في الكذب، أو التحدث بما يُرى أنه كذب - وهو أحد الكاذبين - لإثبات سلامة صدر هذا الرجل حثّاً للناس على تحقيق سلامة الصدور، فإذا

الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَوِيَّ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِي بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمْ وَلَيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ هَذِهِ النَّبِيُّ بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُطِيقُ. وقد بينتُ علّةَ هذا الحديث في غير هذا المقام.

(١) مع أن النبي ﷺ قد قال لعبد الله يوماً: «أطع أباك ما دام حياً ولا تعصه» وهو

حديث ثابت خرّجته فيغير هذا الموطن.

به يُسَيِّء إلى الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، بشهادة عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عليهم أن لا قدرة لهم على تحقيق سلامة الصدور، وأنهم لا يطيقون ذلك!

فيا لله! ألا فليأس اليائسون عن تحقيق هذا الخلق النبيل فقد عجز أفضل الخلق بعد الأنبياء عن تحقيقه إلا واحد منهم ذاك الذي قد لا يدرى اسمه على وجه التحقيق!!
وكانه لا يوجد في السنة ولا في آثار السلف ما يشحذ الهمم على سلامة الصدر إلا هذه المناكير التي لا يصح بها سند ولا هي صحيحة المعنى.

فأين المروّج لهذه المناكير من مثل ما أخرجه ابن سعد والطبراني واللفظ له بسند صحيح عن ابن بريدة الأسلمي قال: شتم رجل ابن عباس، فقال ابن عباس رضي الله عنه: «إِنَّكَ لَتَشْتُمُنِي وَفِي ثَلَاثِ خِصَالٍ: إِنِّي لَأَتِي عَلَى الْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَوَدِدْتُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا أَعْلَمُ مِنْهَا، وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْحَاكِمِ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ يَعْدِلُ فِي حُكْمِهِ فَأَفْرَحُ بِهِ، وَلِعَلِّي لَا أَقَاضِي إِلَيْهِ أَبَدًا، وَإِنِّي لَأَسْمَعُ

بِالْغَيْثِ قَدْ أَصَابَ الْبَلَدَ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فَأَفْرَحُ، وَمَا لِي بِهِ مِنْ سَائِمَةٍ
«(١)».

فأي سلامة صدر هذه كانت لديهم؟!

تأمل سلامة صدره عليه السلام وحبّه لأطراف المجتمع المسلم من
نشر العلم بينهم.

وحبّه عليه السلام للحكام أن ينصلح حالهم مع رعيتهم ولذلك سعى
لنصحهم بالأدب والرفق - على خلاف طريقة الخوارج -!
وقد قال النبي ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَغْلُ عَلَيْهِنَّ» (٢) قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا؛
إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلَزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ
دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ» (٣).

(١) أخرجه ابن سعد الجزء المتمم لـ «الطبقات الكبرى» (٥٦) الطبراني في «الكبير»

(١٠ / ٢٦٦) رقم (١٠٦٢١) وأبو نعيم في «الحلية» (١ / ٣٢١) وغيرهم.

(٢) **يغل:** أي يحقد عليهن ، ورويت بضم الياء ، وهي بمعنى الخيانة، وهذا كناية عن
سلامة الصدر .

(٣) أخرجه أحمد (١٨٣ / ٥) وابن حبان (٦٨٠) وغيرهما بإسنادٍ صحيحٍ من حديث
زيد بن ثابت رضي الله عنه .

وفرح ابن عباس عليه السلام كما تقدم بالمطر لنبات الحشائش فتنتفع
البهائم السوائم برعي الحشائش التي نبتت من أثر الأمطار، مع أنه
عليه السلام ليس لديه بهائم ينتفعون بهذه المرعى.

وكان من أدعيته العظيمة عليه السلام: «رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي
وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ،
وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ
رَاهِبًا، لَكَ مَطْوَعًا إِلَيْكَ، مُحِبًّا، أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ
حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي،
وَاسْأَلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي»^(١).

ومعنى سخيمة قلبي: السخيمة الموجودة في النفس. وهو بمعني
سلامة الصدر، **وقيل السَّخِيمَةُ:** الحَقْدُ فِي النَّفْسِ.

إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسُوءُهُ مَا يَسُوءُ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ، وَيُحْزِنُهُ مَا يُحْزِنُهُ.

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٠) وابن ماجه (٣٨٣٠) بسند صحيح.

وَحَدِيثُ أَنَسٍ مَرْفُوعًا: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١) يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْرُّهُ مَا يَسْرُّ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ، وَيُرِيدُ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ مَا يُرِيدُهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَأْتِي مِنْ كَمَالِ سَلَامَةِ الصَّدْرِ مِنَ الْغِلِّ وَالْغِشِّ وَالْحَسَدِ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَقْتَضِي أَنْ يَكْرَهُ الْحَاسِدُ أَنْ يَفُوقَهُ أَحَدٌ فِي خَيْرٍ، أَوْ يُسَاوِيَهُ فِيهِ^(٢).

قال ابن الجوزي^(٣):

«فإن أردت العيش، فابتعد عن الحسود؛ لأنه يرى نعمتك، فربما أصابها بالعين! فإن اضطرت إلى مخالطته، فلا تفش له سر، ولا تشاوره، ولا يغرنك تملقه لك، ولا ما يظهره من الدين والتعبد، فإن الحسد يغلب الدين! وقد عرفت أن قابيل أخرجته الحسد إلى القتل! وأن إخوة يوسف باعوه بثمن بخس! وكان أبو عامر الراهب ١ من المتعبدین العقلاء، وعبد الله بن أبي ٢ من الرؤساء، أخرجهما حسد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النفاق، وترك الصواب.

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) كما قال الحافظ ابن رجب في «الجامع» الحديث الثالث عشر.

(٣) في «صيد الخاطر» ص ٤٦٣

نشر الله الآثار الصحيحة، والعلم النافع بين الناس، وجنبنا
والمسلمين الكذب على الله ورسوله والسلف، وسلّم صدورنا
وصدور المسلمين لإخوانهم، إنه كريم ودود.
وأسأل الله تعالى أن يوفقنا لمعالي الأمور ويكره إلينا سفاسفها.
كما نسأله سبحانه الإخلاص في القول والعمل، وسلامة الصدور
ونفع الإسلام والمسلمين.

كتبه أبو يحيى محمد بن عبده

بلطيم - كفر الشيخ - مصر

أدلة ضرورة تحقيق سلامة الصدر

قد وردت هناك جملة أدلة تشدّد على تحقيق سلامة الصدر بين المسلمين أرحامًا أو أصحابًا أو جيرانًا.

ولقد وصف الله أهل الجنة الكُمَّل فقال:

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾^(١)
الحجر (١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ
الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا
اللَّهُ...﴾^(٢) ﴿٤٣﴾ الأعراف.

وفي الصحيحين^(٢) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «
أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَىٰ إِثْرِهِمْ
كَأَشَدَّ كَوْكَبِ إِضَاءَةٍ، قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا اخْتِلَافَ
بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ.. الحديث.

ووصف الله الذين تَبَوَّأُوا الدارَ وَالْإِيمَانَ فقال:

(١) وليس فيه دلالة على وجود الغل ونفي سلامة الصدر عنهم في الدنيا ، فقد يأتي البعض طائف من الشيطان فيتذكَّر فيزول أثر ما ألقاه الشيطان في أمنيته، ولا يَمُكث في صدره.

(٢) البخاري (٣٢٤٦) ومسلم (٢٨٣٤) .

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ١٠﴾ الحشر.

ومن سنة رسول الله ﷺ ما يشحن على حالة سلامة الصدر:

فمن ذلك: ما رواه أبو هريرة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(١).

ومنه حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»^(٢).

والتدابير: المعادة.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٥) ومسلم (٢٥٥٨).

وقيل: المقاطعة، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُؤَيِّ صَاحِبَهُ ذُبْرَهُ.

وَالْحَسَدُ: تَمَيُّ زَوَالِ النِّعْمَةِ وَهُوَ حَرَامٌ.

وَمَعْنَى كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا أَيَّ تَعَامَلُوا وَتَعَاشَرُوا مُعَامَلَةً
الْإِخْوَةِ وَمُعَاشَرَتِهِمْ فِي الْمُوَدَّةِ وَالرَّفْقِ وَالشَّفَقَةِ وَالْمَلَأَاطَفَةِ وَالتَّعَاوُنِ فِي
الْخَيْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مَعَ صَفَاءِ الْقُلُوبِ وَالنَّصِيحَةِ بِكُلِّ حَالٍ.

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: فِي النَّهْيِ عَنِ التَّبَاغُضِ إِشَارَةٌ إِلَى النَّهْيِ عَنِ
الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ الْمُوجِبَةِ لِلتَّبَاغُضِ.

ومن الحث على سلامة الصدر: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ
لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ،
فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا،
أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا» ^(١).

ويا لله كم دمر الحسد وفرق:

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٥).

إِنَّ الْحَسَدَ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ النَّفْسِ وَهُوَ مَرَضٌ غَالِبٌ فَلَا
يُخْلَصُ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ وَهَذَا يُقَالُ: مَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ
لَكِنَّ اللَّئِيمَ يُبْدِيهِ وَالكَرِيمَ يُخْفِيهِ. وَقَدْ قِيلَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: أَيَحْسُدُ
الْمُؤْمِنُ؟ فَقَالَ مَا أَنْسَاكَ إِخْوَةَ يُوسُفَ لَا أَبَا لَكَ ^(١) وَلَكِنَّ عَمَّهُ فِي
صَدْرِكَ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا لَمْ تَعُدْ بِهِ يَدًا وَلِسَانًا. فَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ
حَسَدًا لِغَيْرِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ مَعَهُ التَّقْوَى وَالصَّبْرَ. فَيَكْرِهُ ذَلِكَ مِنْ
نَفْسِهِ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ دِينٌ لَا يَعْتَدُونَ عَلَى الْمُحْسُودِ فَلَا
يُعِينُونَ مَنْ ظَلَمَهُ وَلَكِنَّهُمْ أَيْضًا لَا يَقُومُونَ بِمَا يَجِبُ مِنْ حَقِّهِ بَلْ إِذَا
ذَمَّهُ أَحَدٌ لَمْ يُوَافِقُوهُ عَلَى ذَمِّهِ وَلَا يَذْكُرُونَ مُحَامِدَهُ وَكَذَلِكَ لَوْ مَدَحَهُ
أَحَدٌ لَسَكَنُوا وَهُوَ لَاءِ مَدِينُونَ فِي تَرْكِ الْمَأْمُورِ فِي حَقِّهِ مُفَرِّطُونَ فِي
ذَلِكَ؛ لَا مُعْتَدُونَ عَلَيْهِ وَجَزَاؤُهُمْ أَنَّهُمْ يَبْخَسُونَ حُقُوقَهُمْ فَلَا
يُنْصِفُونَ أَيْضًا فِي مَوَاضِعَ وَلَا يُنْصَرُونَ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُمْ كَمَا لَمْ يَنْصُرُوا

(١) أخرجه هناد في «الزهد» (٢/ ٦٤٢) بسند ثابت عن حميد قال: سَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ

، فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ أَيَحْسُدُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: لَا أَبَا لَكَ أَمَّا أَنْسَاكَ بَنِي يَعْقُوبَ فَعَمَّ

فَعَمَّهُ فِي نَفْسِهِ مَا لَمْ يَعُدْ ذَلِكَ بِلِسَانِهِ أَوْ يَعْمَلْ بِيَدِهِ.

هَذَا الْمُحْسُودَ وَأَمَّا مَنْ اعْتَدَى بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ فَذَلِكَ يُعَاقَبُ. وَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَصَبَرَ فَلَمْ يَدْخُلْ فِي الظَّالِمِينَ نَفَعَهُ اللَّهُ بِتَقْوَاهُ^(١).

وسلامة الصدر من أسباب نيل الفضل والشرف:

فأخرج ابن ماجة بسندٍ صحيح عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَحْمُومٍ الْقَلْبِ^(٢)، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَحْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيٍ، وَلَا غِلٍّ، وَلَا حَسَدٍ»^(٣)

سلامة الصدر للأرحام:

(١) من كلام شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٢٤).

(٢) **معنى مخموم:** أي نقي من الغش والغل. وقد روى محموم بالخاء وهي تصحيف، كما نبه عليه العسكري في «تصحيفات المحدثين» ص ٢٤٤، والصواب مخموم بالخاء. ورجل مخموم القلب: أي نقي من الغش والغل والحسد، وقيل: نقي من الدنس.

(٣) برقم (٢٥٥٨).

أخرج مسلم ^(١) عن أبي هريرة، أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابةً أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملّ» ^(٢) ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ^(٣) ما دمت على ذلك ^(٤).

وعن مالك بن نضلة ^(٥) قال: قلت: يا رسول الله! أرايت ابن عمّ لي أتيتُه أسأله فلا يعطيني ولا يصلني، ثم يحتاج إليّ فيأتينني فيسألني، وقد

(١) الملّ: الرماد الحار .

(٢) ظهير عليهم: أي: معين ودافع لأذاهم .

(٢) **والمقصود من الحديث**: أنك بالإحسان تُخزيهم ، وتحقّرهم في أنفسهم ، لكثرة

إحسانك ، وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم . كذا قال النووي .

(٢) أخرج النسائي وابن ماجه بسند صحيح .

(٥) فيما أخرجه النسائي وابن ماجه بسند صحيح .

حَلَفْتُ أَنْ لَا أُعْطِيَهُ وَلَا أَصِلَهُ، «فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَأُكْفَرَ عَنْ يَمِينِي».

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : أمرني خليل عليه السلام بسبع : «أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالْذُّنُوفِ مِنْهُمْ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي ، وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ، وَإِنْ أَذْبَرْتُ ، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكْثِرَ مِنْ قَوْلِ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَأَمَّهَنَّ مِنْ كُنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ»^(١).

وهذا أبو بكر الصديق صاحب الفضل بل الفضائل :

لما أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا^(١) فِي بَرَاءَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه -وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُنْثَاةَ لِقَرَاتِهِ مِنْهُ- : وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ

(١) وإسناده صحيح على خلاف في إسناده بينته في كتابي «تذكير الأنام بصلة

عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)
النور.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ... الحديث^(٢).

وأخرج البخاري ومسلم^(٣) أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ: فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لِأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: أَهْوَا قَالَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَتْ: هُوَ اللَّهُ عَلَيَّ نَذْرٌ، أَنْ لَا أَكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَدًا. فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا، حِينَ طَالَتِ الْهَجْرَةُ، فَقَالَتْ: لَا

(١) يعني آيات التبرئة لها ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ

لِكُلِّ أَمْرِ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١١) النور

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٧٣).

وَاللّٰهُ لَا أَشْفَعُ فِيهِ أَبَدًا، وَلَا أَتَحْنُثُ إِلَىٰ نَذْرِي. فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَىٰ ابْنِ الزُّبَيْرِ، كَلَّمَ الْمِسُورَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنَ عَبْدِ يَعُوثَ، وَهُمَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ، وَقَالَ لَهُمَا: أُنْشِدُكُمَا بِاللّٰهِ لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَىٰ عَائِشَةَ، فَإِنَّهَا لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي. فَأَقْبَلَ بِهِ الْمِسُورُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ مُشْتَمِلَيْنِ بِأُرْدِيَّتِهِمَا، حَتَّى اسْتَأْذَنَّا عَلَىٰ عَائِشَةَ، فَقَالَا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَنْدَخُلُ؟ قَالَتْ عَائِشَةُ: ادْخُلُوا، قَالُوا: كُنَّا؟ قَالَتْ: نَعَمْ، ادْخُلُوا كُلُّكُمْ، وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحِجَابَ، فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي، وَطَفِقَ الْمِسُورُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يُنَاشِدَانِهَا إِلَّا مَا كَلَّمْتُهُ، وَقَبِلَتْ مِنْهُ، وَيَقُولَانِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ عَمَّا قَدْ عَلِمْتَ مِنَ الْهَجْرَةِ، فَإِنَّهُ: «لَا يَحِلُّ مُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ» فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَىٰ عَائِشَةَ مِنَ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ، طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا نَذْرَهَا وَتَبْكِي وَتَقُولُ: إِنِّي نَذَرْتُ، وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ، فَلَمْ يَزَالَا بِهَا حَتَّى كَلَّمْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ، وَأَعْتَقْتُ

فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً، وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَتَبْكِي
حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا.

ولا يخفى حال ابن آدم الأول هابيل المقتول:

وتأمل سلامة صدره لأخيه القاتل قابيل.

لم يسلم صدر القاتل لأخيه ولم يرعو حتى طوّعت له نفسه قتل
أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين النادمين.

قتله وهو يذكره بما يدفع حسده وبغيه عنه وهو يقول له: «إِنَّمَا
يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» .

وقد أظهر له سلامة الصدر جهته: «لَئِنْ بَسَطْتُ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا
أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ».

فحكى الله الحوار بكامله فقال:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ
أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ

الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لَتَفْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي
أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ
النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ
فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴿ المائدة.

فأول الجرائم كانت على وجه الأرض كان سببها عدم سلامة
الصدر، والله المستعان.

أول خطيئة ظهرت في السموات من قبل إبليس بسبب الحسد ،
وأول معصية أحدثت في الأرض هي بسبب الحسد من قبل ابن آدم
ناحية أخيه.

سلامة الصدر للجيران

أخرج أبو داود^(١) بسند حسن عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى
النبي ﷺ يشكو جاره، فقال: «اذْهَبْ فَاصْبِرْ» فَاتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا،
فَقَالَ: «اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ» فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ،
فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبْرَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ: فَعَلَّ

(١) أخرجه أبو داود (٥١٥٣).



الله به، وفعل، وفعل، فجاء إليه جاره فقال له: ارجع لا ترى مني شيئاً تكرهه.

وعن أنس، عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره - أو قال: لأخيه - ما يحب لنفسه»^(١).

وأخرج الترمذي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم بإسناد حسن من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأوصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله، إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار، وتفعل، وتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا خير فيها، هي من أهل النار»، قالوا: وفلانة

(١) أخرجه مسلم (٤٥).

(٢) وقد خرّجته في كتابي «فقه التعامل مع الجار وبيان حقوقه»

تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَدَّقُ بِأَنْوَارٍ^(١) وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ »^(٢).

فبسلامة صدرها للجيران بلغت بها تلك المنزلة العظيمة.

ومما يبحث على سلامة الصدر للأصحاب:

(١) **الأنوار**: جمع ثور وهي القطعة من الأقط، وهو الجبن المجفف الذي يُتخذ من مخيض لبن الغنم .

(٢) صحيح . أخرجه أحمد والبخاري في « الأدب المفرد » وهناد في « الزهد » وغيرهم من طريق عبد الواحد بن زياد قال: حدثنا الأعمش قال : حدثنا أبو يحيى ... فذكره .

وفي رواية عبد الواحد عن الأعمش ضعف لكن تابعه أبو أسامة عند أحمد وابن حبان (٥٧٦٤)، وأبو معاوية عند هناد في « الزهد » وكلاهما ثقة .

وأبو يحيى مولى جعدة [وترجم له هكذا عند بعضهم ، بغير آل] ، وهو منسوب في رواية له في « صحيح مسلم » (حديث ٢٠٦٤) مولى آل جعدة [وثقه ابن معين كما في « الجرح والتعديل » (٤٥٧ / ٩) ، فيستدرك بذلك ، وبرواية مسلم له على قول الحافظ في « التقریب » : « مقبول » . فالحديث صحيح . والله أعلم .

ما أخرجه البخاري ومسلم^(١) عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَبْلُغُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ».^(٢)

وأخرج الترمذي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم بإسنادٍ حسن من حديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ»^(٣).

وأخرج البخاري^(٤) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»

(١) البخاري (١٣) ومسلم (٤٥).

(٢) أخرجه ابن حبان (٢٣٥) بإسنادٍ صحيح على شرط الشيخين .

(٣) وقد خرَّجته في كتابي «فقه التعامل مع الجار وبيان حقوقه»

(٤) برقم (٦٠٧٧) ومسلم (٢٥٦٠).

سلامة الصدر بين علي بن أبي طالب والزبير رضي الله عنهما :

عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ قَالَ: جَاءَ ابْنُ جُرْمُوزٍ قَاتِلَ الزُّبَيْرِ يَسْتَأْذِنُ عَلَى عَلِيٍّ، فَحَجَبَهُ طَوِيلًا، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَمَّا أَهْلُ الْبَلَاءِ فَتَجَفَّوْهُمْ قَالَ عَلِيٌّ: بِفَيْكَ التُّرَابُ، إِنِّي لَا رَجُوَ أَنْ أَكُونَ أَنَا وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ^(١) مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} [الحجر: ٤٧].^(٢)

وفي رواية عَنْ زَرِّ بْنِ حُبَيْشٍ؛ قَالَ: جَاءَ ابْنُ جُرْمُوزٍ قَاتِلَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه يَسْتَأْذِنُ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: لِيَدْخُلْ قَاتِلُ ابْنِ صَفِيَّةِ النَّارِ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ»^(٣).

(١) وفي رواية: «أنا وعثمان وطلحة والزبير» .

(٢) صحيح . أخرجه الطبري (١٤ / ٧٦) أحمد في «الفضائل» (١٢٩٩)، وابن

الأعرابي في «المعجم» (١٧٧٤)، وابن سعد في «طبقاته» (٣ / ١١٣)، وابن أبي

شيبه ، وغيرهم .

(٣) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٤٥٢) بإسنادٍ يحسن .

وأخرج ابن سعد ^(١) بسند صحيح عن ابن عباسٍ أَنَّهُ أَتَى الزُّبَيْرَ فَقَالَ: «أَيْنَ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَيْثُ تُقَاتِلُ بِسَيْفِكَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟» ^(٢) قَالَ: فَرَجَعَ الزُّبَيْرُ فَلَقِيَهُ ابْنُ جُرْمُوزٍ فَقَتَلَهُ، فَأَتَى ابْنُ عَبَّاسٍ عَلِيًّا فَقَالَ: إِلَى أَيْنَ قَاتِلُ ابْنِ صَفِيَّةَ؟ قَالَ عَلِيٌّ: إِلَى النَّارِ.

فهذا التصرف يدل على كمال سلامة صدورهم لبعض حتى مع وجود القتال بينهم!

سلامة صدر علي بن أبي طالب لطلحة بن عبيد الله ^(٣) رحمتهما

وذلك في مجيء ابن طلحة بعد موت أبيه إلى علي بن أبي طالب رحمتهما.

أخرج ابن سعد بسندٍ يحسن عن رُبَيْعِي بْنِ حِرَاشٍ قَالَ:

(١) في «طبقاته» (٣/ ١١٠).

(٢) وهي كلمة عظيمة من ابن عباس مع صغر سنّه للزبير بن العوام حوارى رسول الله ﷺ.

(٣) وقد كان طلحة رحمتهما في صفوف الطائفة التي كانت تقاتل علي بن أبي طالب رحمتهما.

إِنِّي لَعِنْدَ عَلِيٍّ جَالِسٌ إِذْ جَاءَ ابْنُ طَلْحَةَ فَسَلَّمَ عَلَى عَلِيٍّ. فَرَحَّبَ بِهِ عَلِيٌّ. فَقَالَ: تَرْحُبُ بِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ قَتَلْتَ وَالِدِي وَأَخَذْتَ مَالِي؟ قَالَ: أَمَّا مَالُكَ فَهُوَ مَعْرُوفٌ فِي بَيْتِ الْمَالِ. فَاغْدُ إِلَى مَالِكَ فَخُذْهُ. وَأَمَّا قَوْلُكَ قَتَلْتَ أَبِي فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَأَبُوكَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ» (الحجر: ٤٧).^(١)

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ أَعُورٌ: اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ ذَلِكَ. فَصَاحَ عَلِيٌّ صَيْحَةً تَدَاعَى لَهَا الْقَصْرُ. قَالَ: فَمَنْ ذَاكَ إِذَا لَمْ نَكُنْ نَحْنُ أَوْلَيْكَ؟

وفي رواية: عن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ عَنْ أَبِي حَبِيبَةَ مَوْلَى طَلْحَةَ قَالَ: دَخَلَ عِمْرَانُ بْنُ طَلْحَةَ عَلَى عَلِيٍّ بَعْدَ يَوْمِ الْجَمَلِ فَرَحَّبَ بِهِ وَقَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ لِي اللَّهُ وَأَبَاكَ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا قَالَ: «إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ»، وَرَجُلَانِ جَالِسَانِ عَلَى نَاحِيَةِ الْبَسَاطِ فَقَالَا: اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ ذَلِكَ، تَقْتُلُهُمْ بِالْأَمْسِ وَتَكُونُوا إِخْوَانًا فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قُومًا إِلَى أَبْعَدِ أَرْضٍ وَأَسْحَقِهَا، فَمَنْ هُمْ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَنَا وَطَلْحَةُ، ثُمَّ قَالَ لِعِمْرَانَ: كَيْفَ أَهْلِكَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّهَاتٍ وَلَدِ أَيْبِكَ؟

(١) في «طبقاته» (٣/ ١٦٩) ومن طريقه البلاذري في «أنساب الأشراف» (١٠/ ١٢٩).

أَمَّا إِنَّا لَمْ نَقْبِضْ أَرْضِيكُم هَذِهِ السَّيِّئِينَ - أَوْ قَالَ هَذِهِ السَّيِّئِينَ - وَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نَأْخُذَهَا إِنْ قَبَضْنَاهَا مَخَافَةَ أَنْ يَخْتَطِفَهَا - أَوْ قَالَ يَنْهَبَهَا - النَّاسُ. يَا فُلَانُ اذْهَبْ مَعَهُ إِلَى ابْنِ قَرْظَةَ فَمُرْهُ فَلْيَدْفَعْ إِلَيْهِ أَرْضَهُ وَغَلَّتْهَا لَهُ هَذِهِ السَّيِّئِينَ - أَوْ قَالَ: السَّيِّئِينَ يَا بَنَ أَخِي اثْنَيْنِ فِي الْحَاجَةِ إِنْ كَانَتْ لَكَ. (١)

ذكر ابن كثير (٢) تبعاً لغيره تسَلَّلَ الْجُرْحَى مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى فَدَخَلُوا البصرة، وَقَدْ طَافَ عَلَيَّ بَيْنَ الْقَتْلَى فَجَعَلَ كُلُّمَا مَرَّ بِرَجُلٍ يَعْرِفُهُ تَرَحَّم عَلَيْهِ وَيَقُولُ: يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ أَرَى قُرَيْشًا صَرَعِي.

وقد مر على عليه السلام - على ما ذَكَرَ - عَلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَهُوَ مَقْتُولٌ فَقَالَ: هَفِي عَلَيْكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ • • •

إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيَبْعَدُهُ الْفَقْرُ.

(١) أخرج ذلك البلاذري في «أنساب الأشراف» (١٠ / ١٢٩).

(٢) في «البداية والنهاية» (٨ / ٢٠).

وفي موطن آخر: ذكر أن عليًّا لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب وقال: رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْكَ أبا مُحَمَّدٍ، يَعْزُّ عَلِيٌّ أَنْ أَرَكَ مجدولاً^(١) تَحْتَ نُجُومِ السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: إِلَى اللهِ أَشْكُو عُجْرِي وَبُجْرِي^(٢)، وَاللهُ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مِتُّ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ بَعِشْرِينَ سَنَةً.

ثم صلى عليٌّ على القتلى من الفريقين، وخصَّ قريشًا بِصَلَاةٍ مِنْ بَيْنِهِمْ، ثُمَّ جَمَعَ مَا وَجَدَ لِأَصْحَابِ عَائِشَةَ فِي الْمَعْسَكَرِ وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ، فَمَنْ عَرَفَ شَيْئًا هُوَ لِأَهْلِهِمْ فَلْيَأْخُذْهُ، إِلَّا سِلَاحًا كَانَ فِي الْخَزَائِنِ عَلَيْهِ سِمَةُ السُّلْطَانِ^(٣).

سلامة صدور الصحابة ~~جنتهم~~ لبعض:

كانت صدورهم سليمة فيما بينهم، يضرب بهم المثل في ذلك، وها هي بعض مواقفهم:

أولاً: بين علي وعثمان ~~جنتهم~~:

(١) مجدولاً: أي صريعاً مرمياً ملقياً على الأرض قتيلًا.

(٢) إِلَى اللهِ أَشْكُو عُجْرِي وَبُجْرِي أي: همومي وأحزاني.

(٣) ولكني لم أقف لهذا على أسانيد ثابتة.

وعن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَكَانَ بَيْنَهُمَا نَزْعٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَا تَرَكَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ شَيْئًا إِلَّا قَالَهُ، فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَقْصَّ عَلَيْكُمْ مَا قَالَا لَفَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُبْرَحَا حَتَّى اصْطَلَحَا وَاسْتَغْفَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ. ^(١)

وقد أخرجه الخلال ^(٢) بسند حسن عن أبي نَصْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: «أَوَّلُ الْقِصَّةِ ^(٣) فَلَا تُنْكِرُهَا ^(٤)»، فَمَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ حَتَّى دَخَلَ أَحَدُهُمَا آخِذًا بِيَدِ صَاحِبِهِ كَأَنَّهَا أَخَوَانِ لِأَبٍ وَأُمٍّ. يَعْني عُثْمَانَ وَعَلِيًّا رَحِمَهُمَا اللَّهُ».

ثانياً: سلامة الصدر بين عائشة وعلي بن أبي طالب عليه السلام :

أخرج ابن أبي شيبة ^(٥) بسند جَوْدَه الحافظ ابن حجر ^(١) عَنِ ابْنِ أَبِي

(١) إسناده حسن . أخرجه الخلال في « السنة » (٧١٥) وعند عبد الله بن أحمد في «

السنة » (١٢٩٧) ذكر الأثر وفيه سباب بينهما، وفي إسناده ضعف بهذا السياق .

(٢) في «السنة» (٧١٦).

(٣) يعني القصة التي دارت بين علي وعثمان.

(٤) يعني لا ينكر أن يختلف الصحابي مع آخر في شيء من وجهات النظر.

(٥) في «المصنف» (٥٤٥ / ٧).

(٢)، قَالَ: انْتَهَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدَيْلٍ إِلَى عَائِشَةَ وَهِيَ فِي الْهُودَجِ يَوْمَ الْجَمَلِ، فَقَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أُنْشِدُكَ بِاللَّهِ، أَتَعْلَمِينَ أَنِّي أَتَيْتُكَ يَوْمَ قَتَلَ عُمَانُ فَقُلْتُ: إِنَّ عُمَانَ قَدْ قُتِلَ فَمَا تَأْمُرِينِي، فَقُلْتَ لِي: الزَّمْ عَلِيًّا، فَوَاللَّهِ مَا غَيَّرَ وَلَا بَدَّلَ... الأثر. الله أكبر!

وهذا يدل على أنها ما كانت تنازع علياً ولا خرجت عليه كما زعم من أخطأ.

عَنْ شَرِيحِ بْنِ هَانِيٍّ، قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَقَالَتْ: ائْتِ عَلِيًّا فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنِّي. (٣)

فكيف تُحِيلُ رضي الله عنها عَلَى مَنْ لَا تَرْضَاهُ وَلَا تَطِيبُ نَفْسُهَا بِهِ مُعَلِّماً
مَوْجَّهاً!؟

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت بشأن عليٍّ رضي الله عنه: «مَا كَانَ

(١) في «فتح الباري» (١٢/ ٥٧) وهو كذلك إن شاء الله.

(٢) وهو سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٦).

بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مَا كَانَ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَأَحْمَائِهَا»^(١)

وفي رواية البيهقي^(٢): «رَحِمَ اللَّهُ عَلِيًّا لَقَدْ كَانَ عَلَى الْحَقِّ وَمَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا كَمَا يَكُونُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَأَحْمَائِهَا».

وحاصل ما كان بين عائشة وعليٍّ عليه السلام **مما صحَّحَ عَنْ الزُّهْرِيِّ**^(٣)، قَالَ: قَالَ لِي الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: أَبْلَغَكَ أَنَّ عَلِيًّا، كَانَ فِيْمَنْ قَذَفَ عَائِشَةَ؟ قُلْتُ: لَا، وَلَكِنْ قَدْ أَخْبَرَنِي رَجُلَانِ مِنْ قَوْمِكَ، أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ، أَنَّ عَائِشَةَ عليها السلام قَالَتْ لَهُمَا: «كَانَ عَلِيٌّ مُسْلِمًا فِي شَأْنِهَا»^(٤)..

(١) ولكن قد أخرج ذلك الآجري في «الشرعة» (٤ / ٢٠٨٣) بسندٍ منقطع.

(٢) في «دلائل النبوة» (٦ / ٤٣٤).

(٣) وهو ما رواه البخاري (٤١٤٢).

(٤) (مسلمًا) من التسليم في الأمر أي ساكتًا.

وفي رواية (مُسْلِمًا) أي سألًا من الخوض فيه وروى (مُسِيئًا).

قال في «الفتح» (٧ / ٤٣٧) هو الأقوى من حيث نقل الرواية.

وقواه بها في رواية بن مردويه المذكورة بلفظٍ أَنَّ عَلِيًّا أَسَاءَ فِي شَأْنِي وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ.

ثالثاً : سلامة الصدر بين عمار بن ياسر وعائشة رضي الله عنهما .

أخرج الطبري بإسنادٍ صحيحه الحافظ ابن حجر

(١) عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْمَدِينِيِّ قَالَ: قَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رضي الله عنه لِعَائِشَةَ رضي الله عنها حِينَ فَرَغَ الْقَوْمُ - يَعْنِي مِنْ وَقْعَةِ الْجَمَلِ - يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ؛ مَا أَبْعَدَ هَذَا الْمَسِيرَ مِنَ الْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدَ إِلَيْكَ، قَالَتْ: أَبُو الْيَقْظَانِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنَّكَ مَا عَلِمْتُ قَوَّالٌ بِالْحَقِّ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَضَى لِي

قال: «وَأِنَّمَا نَسَبْتُهُ إِلَى الْإِسَاءَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ كَمَا قَالَ أُسَامَةُ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا بَلْ ضَيَّقَ عَلَى بَرِيرَةَ وَقَالَ لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ».

وخلاصة القول: أن علياً رضي الله عنه لم يكن ليسيء الظن بأهل بيت رسول الله ﷺ وحاشاه

رضي الله عنه، وكيف وعلي رضي الله عنه أفضل من أسامة بلا خلاف أعلمه؟

وإنما حمله على تصرفه وقوله لإشفاقه على رسول الله ﷺ ورغبته في إذهاب الغم

والكرب عن نفسه لما رأى من شدة تأثره ﷺ بالأمر.

عَلَى لِسَانِكَ»^(١).

وقد أثنى عليها عمار بن ياسر^(٢) - وكان في صفوف علي بن أبي طالب - يوم موقعة الجمل ، وعلى ملأ من الفريقين ، وجزم بأنها زوجة نبينا في الدنيا والآخرة.

ولم يعترض عليه واحد من المسلمين.

رابعاً: سلامة نيّة الزُّبَيْر وعائشة وطلحة رضي الله عنهم في تلك المواقف:

قَدْ وَرَدَ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِسَلَامَةِ نِيَّةِ الزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ وَعَائِشَةَ فِي مَوْقِعَةِ الْجَمَلِ وَأَتَمَّهُمْ مَا أَرَادُوا إِلَّا الْإِصْلَاحَ خَبَرُ أَبِي حَرْبٍ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيَلِيِّ قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ لَمَّا رَجَعَ الزُّبَيْرُ عَلَى دَابَّتِهِ يَشُقُّ الصُّفُوفَ، فَعَرَضَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: ذَكَرَ لِي عَلِيٌّ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَتُقَاتِلَنَّهُ وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ» فَلَا أُقَاتِلُهُ، قَالَ: وَلِلْقِتَالِ جُنْتُ؟!

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣ / ٦١، ٧٦).

(٢) ففي صحيح البخاري (٧١٠١) عنه رضي الله عنه أنه قال على منبر الكوفة، وذكر

عائشة، وذكر مسيرها، وقال: «إِنَّهَا زَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ....

إِنَّمَا جِئْتُ لِتُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ وَيُصْلِحَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ بِكَ، قَالَ: قَدْ حَلَفْتُ أَنْ لَا أَقَاتِلَ، قَالَ: فَأَعْتَقَ غُلَامَكَ جِرْجَسَ، وَقَفَ حَتَّى تُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ. قَالَ: فَأَعْتَقَ غُلَامَهُ جِرْجَسَ وَوَقَفَ، فَاخْتَلَفَ أَمْرُ النَّاسِ، فَذَهَبَ عَلَى فَرَسِهِ. (١)

والمقصود: أن الروايات وأصحاب السير ذكروا رجوع الزبير رضي الله عنه عن القتال مع علي رضي الله عنه فالله أعلم، لكن سياق ترجمة وحياة الزبير رضي الله عنه لا يستفاد منها إلا أنه ما خرج إلا للإصلاح جزماً، سواء

(١) وهذا الخبر أخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٦ وما بعدها) والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤١٥)، والمزي في «تهذيبه» (١٦/ ٧١-٧٢) بأسانيد تحتل التقوية.

وقد قوى الألباني في «الصحيحة» (٢٦٥٩) أصله: «لتقاتلنَّ وأنت له ظالم» وتردّد في تصحيح أصل القصة، وداخله الشك في تصحيحها؛ لكونها من رواية عبد الله بن محمد بن سوار الهاشمي عن منجاب.

والحاصل أنه صحح أصل الحديث لطرقها بدون قصة ابن الزبير، وتصحيح البعض للحديث بالقصة ليس بصواب، فإنه إن صح فالحديث بدون قصة عبد الله بن الزبير مع أبيه على نزاع في التصحيح. وتام تخريجه والكلام عليه في كتابي «التوضيحات الجلية».

صح هذا الخبر بذلك أم لا، كما قال بعض رواة حديث أبي هريرة رضي الله عنه في تحليته للشيطان إذ علمه قراءة آية الكرسي عند النوم، ففيه ^(١): «وَكَانُوا - أي الصحابة - أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ» .

وهي حجة قوية في تبرئة ساحتهم جميعاً رضي الله عنهم .

وقال ابن كثير ^(٢) عن سبب رجوع الزبير عن قتاله ضد عليّ

رضي الله عنه :

«وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ إِنَّمَا رَجَعَ عَنِ الْقِتَالِ لَمَّا رَأَى عَمَّارًا مَعَ عَلِيٍّ وَقَدْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِعَمَّارٍ:

«تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ» فَخَشِيَ أَنْ يُقْتَلَ عَمَّارٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ.» ^(٣)

(١) أي في روايته كما في صحيح البخاري (٢٣١١).

(٢) في «البداية والنهاية» (٨ / ١٦).

(٣) وفيه نظر، فإنه كان عالماً من أول الوقت أن عماراً رضي الله عنه في صفّ علي، في

المواجهة له.

وَعِنْدِي أَنَّ الْحَدِيثَ الَّذِي أَوْرَدْنَاهُ إِنْ كَانَ صَحِيحًا عَنْهُ فَمَا رَجَعَهُ سِوَاهُ، وَيَبْعُدُ أَنْ يُكْفَرَ عَنْ يَمِينِهِ ثُمَّ يَحْضُرُ بَعْدَ ذَلِكَ لِقِتَالِ عَلِيٍّ وَاللَّهِ أَعْلَمُ..

وورد عن عليٍّ عليه السلام عند ابن أبي شيبة عن المحاربي، عَنْ كَيْثٍ، قَالَ حَدَّثَنِي حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، أَنَّ عَلِيًّا، قَالَ يَوْمَ الْجَمَلِ: اللَّهُمَّ لَيْسَ هَذَا أَرَدْتُ، اللَّهُمَّ لَيْسَ هَذَا أَرَدْتُ ^(١).

وأخرج الحارث بن أبي أسامة ^(٢) بسندٍ صحيح عن أبي الضُّحَى، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ الْخَزَاعِيِّ قَالَ: جِئْتُ إِلَى الْحَسَنِ فَقُلْتُ: اعْذُرْنِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ لَمْ أَحْضِرِ الْوُقْعَةَ، فَقَالَ الْحَسَنُ: «مَا تَصْنَعُ بِهَذَا لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَهُوَ يُلَوِّذُ بِي وَيَقُولُ: يَا حَسَنُ لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا بَعِشْرِينَ سَنَةً».

خامساً : سلامة الصدر بين علي ومعاوية عليه السلام مع وجود القتال :

(١) (٧ / ٥٤١).

(٢) كما في «بغية الحارث» (٧٥٧) والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٢ / ٢٧٣).

وأخرجه ابن أبي شيبة (٧ / ٥٤٤ مختصراً).

قال ابن كثير: وَقَدْ وَرَدَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنْ أَبَا مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ وَجَمَاعَةً مَعَهُ دَخَلُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ تُنَازِعُ عَلِيًّا أَمْ أَنْتَ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي وَأَفْضَلُ، وَأَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنِّي، وَلَكِنْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا، وَأَنَا ابْنُ عَمِّهِ، وَأَنَا أُطْلَبُ بِدَمِهِ وَأَمْرُهُ إِلَيَّ؟ فَقُولُوا لَهُ: فَلْيَسَلِّمْ إِلَيَّ قَتْلَةَ عُثْمَانَ وَأَنَا أُسَلِّمُ لَهُ أَمْرَهُ.

فَاتُوا عَلِيًّا فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَدْفَعْ إِلَيْهِمْ أَحَدًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ صَمَّمَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى الْقِتَالِ مَعَ مُعَاوِيَةَ ^(١).

سلامة صدر معاوية ~~عليه السلام~~ وحرصه على ذراري المسلمين:

أخرج البخاري ^(٢) عن الحسن البصري قال: اسْتَقْبَلَ وَاللهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَاتِبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ ^(١)، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: إِنِّي

(١) وقال الحافظ في «الفتح» (١٣ / ٨٦) ط. دارالمعرفة: «ذكر يحيى بن سليمان

الجعفي أحد شيوخ البخاري في كتاب «صفين» في تأليفه بسند جيد عن أبي

مسلم... فذكره.

(٢) برقم (٢٧٠٤).

لَأَرَى كِتَابَ لَا تُؤَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ وَكَانَ وَاللهُ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ: أَيُّ عَمْرُو إِنْ قَتَلَ هُوَ لَاءَ هُوَ لَاءَ، وَهُوَ لَاءَ هُوَ لَاءَ مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ مَنْ لِي بِضِيَعَتِهِمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ^(١)، فَقَالَ: اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَاغْرِضَا عَلَيْهِ، وَقُولَا لَهُ: وَاطْلُبَا إِلَيْهِ، فَاتَّيَاهُ، فَدَخَلَا عَلَيْهِ فَتَكَلَّمَا، وَقَالَا لَهُ: فَطَلَبَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ عَاثَتْ فِي دِمَائِهَا، قَالَا: فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ قَالَ: فَمَنْ لِي بِهِذَا، قَالَا: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئًا إِلَّا قَالَا: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَصَالَحَهُ، فَقَالَ الْحَسَنُ^(٢): وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمُنْبَرِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يَقْبَلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ:

(١) سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية

(٢) وذكر بعض العلماء أن له رؤية، أما عبد الرحمن بن سمرة صحابي رضي الله عنه.

(٣) هو الحسن البصري الراوي عن أبي بكره رضي الله عنه.

«إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

تأمل سلامة صدر معاوية رضي الله عنه للرعية، الله أكبر.

وعلي بن أبي طالب قبل هو الآخر كالحسن ولده سلمت صدورهم للأمة.

فالحسن رضي الله عنه يتنازل عن الإمارة التي انعقدت له وهو خامس الخلفاء لتأله مما أصاب الأمة التي عاثت في دماؤها كما رأيت.

والثاني : علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ورد عند ابن أبي شيبه^(١) عن المحاربِيِّ، عَنْ لَيْثٍ، قَالَ حَدَّثَنِي حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، أَنَّ عَلِيًّا، قَالَ يَوْمَ الْجُمَلِ: اللَّهُمَّ لَيْسَ هَذَا أَرَدْتُ، اللَّهُمَّ لَيْسَ هَذَا أَرَدْتُ .

وأخرج الحارث بن أبي أسامة^(١) بسندٍ صحيح عن أَبِي الضُّحَى، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ الْخُرَاعِيِّ قَالَ: جِئْتُ إِلَى الْحَسَنِ فَقُلْتُ: اعْذُرْنِي

عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ لَمْ أَحْضِرِ الْوَفْعَةَ ، فَقَالَ الْحَسَنُ : « مَا تَصْنَعُ بِهَذَا لَقَدْ رَأَيْتَنِي وَهُوَ يُلَوِّذُ بِي وَيَقُولُ : يَا حَسَنُ لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا بِعِشْرِينَ سَنَةً » .

وأخرج الخطابي في «العزلة»^(٢) من طريق ابن الأعرابي^(٣) بسنده من طريق المبارك بن فضالة، عن الحسن، عن أبي بكره قال: «لما اشتدَّ القتال يوم الجمل ورأى عليٌّ عليه السلام الرؤوس تندر أخذ الحسن ابنه وضمه إلى صدره ثم قال: إنا لله يا حسن أي خير ير جى بعد هذا» . وهذا إسناد رجاله مُعَدَّلُونَ، وحسن لولا تدليس مبارك.

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد قال: قال عليٌّ يوم الجمل: يا حسن ليت أباك مات منذ عشرين

(١) كما «بغية الحارث» (٧٥٧) والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٢/ ٢٧٣) وأخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤٤ مختصراً).

(٢) ص ١٤.

(٣) وهو في «المعجم» (٩٠٥)

سَنَّهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَهُ قَدْ كُنْتُ أَنُهَاكَ عَنْ هَذَا، قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي لَمْ أَرَأَنَّ
الْأَمْرَ يَبْلُغُ هَذَا^(١).

وأيضاً عليّ عليه السلام وبعض من كان معه قد عذروا طائفة معاوية
عليه السلام وما كفرهم مع حربهم له ويقينه بأن الحق معه:

فَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمَرْوَزِيُّ مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ^(٢)، وَالطَّبْرَائِي^(٣)
عَنِ الطَّيَالِسِيِّ، كَلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ
عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي عَوْنٍ، قَالَ: «مَرَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَوْمَ
صِفِّينَ وَهُوَ مُتَكَيِّئٌ عَلَى الْأَشْتَرِ عَلَى قَتْلِ صَفِّينَ، فَإِذَا حَابَسَ الْيَمَانِي^١
مَقْتُولٌ، فَقَالَ الْأَشْتَرُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، حَابَسَ الْيَمَانِي مَعَهُمْ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ عَلَامَةٌ مُعَاوِيَةَ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَهِدْتُهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ
عَلِيٌّ: وَالْآنَ هُوَ مُؤْمِنٌ».

وَكَانَ حَابِسُ الْيَمَانِي رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ أَهْلِ الْعِبَادَةِ
وَالْاجْتِهَادِ

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٢ / ٤٥٨) بسنده إليه.

(٢) في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٩٦) من طريق أحمد بن خالد الوهبي.

(٣) في «الكبير» (٤ / ٣١) رقم (٣٥٦٣).

(١).

وَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمُرُوزِيُّ ^(٢) بِإِسْنَادٍ ثَابِتٍ عَنْ مَكْحُولٍ: «أَنَّ أَصْحَابَ عَلِيٍّ عليه السلام سَأَلُوهُ عَنْ مَنْ قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ عليه السلام مَا هُمْ؟ قَالَ: هُمْ الْمُؤْمِنُونَ» .

وَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمُرُوزِيُّ ^(٣) أَيْضًا: «أَنَّ عَلِيًّا سَمِعَ رَجُلًا يَغْلُو فِي الْقَوْلِ يَوْمَ صِفِّينَ، فَقَالَ: لَا تَقُولُوا. إِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ زَعَمُوا أَنَّا بَغَيْنَا عَلَيْهِمْ، وَزَعَمْنَا أَنَّهُمْ بَغَوْا عَلَيْنَا فَقَاتَلْنَا هُمْ» .

قَالَ الْمُرُوزِيُّ مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا:

«قَدْ وَلِيَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قِتَالَ أَهْلِ الْبَغْيِ .
وَرُويَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمْ مَا رُويَ، وَسَمَّاهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَحَكَمَ

(١) وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وأحمد بن خالد الوهبي: «صدوق»، وقد

تابعه الطيالسي كما رأيت.

(٢) في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٩٥)

(٣) السابق (٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤)، وألفاظهم متقاربة، والطرق يقوي بعضها

بعضاً.

فِيهِمْ بِأَحْكَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَذَلِكَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ .

فَعَلِيَ رحمته الله الَّذِي قَاتَلَهُمْ هُوَ الْمَصْدَقُ أَمْ مَنْ يَكْذِبُونَ وَيَجْهَلُونَ؟!

وَأَخْرَجَ الْمَرْوَزِيُّ^(١) عَنْ الْحَسَنِ بْنِ الْحَكَمِ النَّخَعِيِّ، عَنْ رِيَّاحِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: «أَنَا بِوَادِي الظُّبْيِ، وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَكَادُ تَمَسُّ رُكْبَةَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، فَاتَى رَجُلٌ فَقَالَ: كَفَرَ وَاللَّهِ أَهْلُ الشَّامِ، فَقَالَ عَمَّارٌ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ، قَبِلْتَنَا وَاحِدَةً وَنَبِينَا وَاحِدٌ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ مَفْتُونُونَ فَحَقَّ عَلَيْنَا قِتَالُهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ».

وَلَهُ طَرِيقٌ آخَرُ عَنْهُ^(٢) يَتَقَوَّى بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِنَحْوِ مِنْهُ، وَلَفْظُهُ: «قَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ: لَا تَقُولُوا كَفَرَ أَهْلُ الشَّامِ، قُولُوا: فَسَقُوا. قُولُوا: ظَلَمُوا».

وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَلَمْ يُعْلَمْ بِنَقْلِ صَحِيحٍ أَنَّ مُعَاوِيَةَ رحمته الله تَعَرَّضَ لِعَلِيِّ رحمته الله بِسَبِّ أَوْ شَتْمٍ، حَتَّى أَثْنَاءَ الْحَرْبِ، وَقَدْ نُقِلَ فِي ذَلِكَ أَخْبَارٌ

(١) في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٩٨، ٥٩٩).

(٢) برقم (٦٠٠).

تَعَلَّقَ بِهَا مَنْ وَافَقَتْ أَهْوَاءَهُمْ.

وقد كان معاوية رضي الله عنه يبعث من يسأل له علياً عن بعض مسائل

العلم:

فأخرج مالك^(١) بسند صحيح عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ خَيْرِيٍّ، وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا فَقَتَلَهُ أَوْ قَتَلَهُمَا مَعًا، فَأَشْكَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ الْقَضَاءُ فِيهِ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، يَسْأَلُ لَهُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَنْ ذَلِكَ، فَسَأَلَ أَبُو مُوسَى عَنْ ذَلِكَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: عَلِيٌّ: «إِنَّ هَذَا الشَّيْءَ مَا هُوَ بِأَرْضِي، عَزَمْتُ عَلَيْكَ لَتُخْبِرَنِي». فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: كَتَبَ إِلَيَّ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَبُو حَسَنِ، إِنْ لَمْ يَأْتِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَلْيُعْطَ بِرُمَّتِهِ.

انتصاب الصحابة رضي الله عنهم للدفاع عن عثمان رضي الله عنه

ضد الخوارج، ولهم في ذلك مواقف :

١ - موقف عبد الله بن عمر رضي الله عنه في الدفاع عن عثمان :

أخرجه الخلال^(١) بسند صحيح عن عبد الله بن عمر قال: «جاءني رجل من الأنصار في خلافة عثمان فكلمني، فإذا هو يأمرني في كلامه بأن أعيب على عثمان، فتكلم كلاماً طويلاً وهو امرؤ في لسانه ثقل، ولم يكن يقضي كلامه في سريح، فلما قضى كلامه، قلت: إنا كنا نقول ورَسُولُ اللَّهِ ﷺ حي: أفضل أمة رسولِ اللَّهِ ﷺ بعده: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، وإنَّا والله ما نعلم عثمان قتل نفساً بغير حق، ولا جاء في الكبائر شيئاً، ولكن هو هذا المال، فإن أعطاكموه رضيتم، وإن أعطاه أولي قرابته سخطتم، إنما تريدون أن تكونوا كفارس والروم، لا يتركون لهم أميراً إلا قتلوه، قال: ففاصت عيناه بأربع من الدمع، ثم قال: اللهم لا تريد ذلك» .

(١) أخرجه الخلال في «السنة» (٥٤٦ وما بعدها) وأحمد في «الفضائل» (٦٤)،

والطبراني في «مسند الشاميين» (٣١٥٥)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ١٥٩ -

١٦٠) وله طرق عنه أسانيدھا صحيحة كالشمس.

وفي رواية^(١): إن أعطاكموه رضيتم وإن أعطى أولي قرابته سخطتم ... الأثر.

٢- عبد الله بن سلام رحمته الله عليه.

أخرج ابن أبي شيبة وغيره^(٢) بسند حسن عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، أخبره أنه سمع عبد الله بن سلام، يُنشد في قتل عثمان رحمته الله عليه ويُخبر أنه إن تركوه أربعين يوماً أنه يموت، فحصبه الناس حتى أدموا وجهه، فدخل على عثمان رحمته الله عليه فقال له عثمان: يا أبا يوسف؟ ما شأنك؟ فأخبره ما فعل به الناس، ثم قال لعثمان: إنك لفي كتاب الله الخليفة المظلوم المقتول. قال عامر: فقلت لأبي من هذا؟ فقال: هذا الرجل الذي سمعت رسول الله ﷺ يقول إنه من أهل الجنة، وذلك أني كنت مع النبي ﷺ في مكان فقال: «ليطلعن من هذا المنقب رجل من أهل الجنة» فطلع عبد الله بن سلام، فقلت: هنيئاً مريئاً.

واتهموه بالتعصب - يا ويحكم-

(١) للطبراني (١٢ / ٨٥) رقم (١٣١٣٢) وفي «مسند الشاميين» (١٧٦٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٤ / ١١٧٧) والدولابي في «الكنى» (٥٠٤).

أخرج ابن شبة^(١) بسند صحيح عن عبد الله بن سلام، قال: بينما عثمان رضي الله عنه يخطب الناس إذ قام إليه رجل فقال منه، فنهاه عبد الله بن سلام رضي الله عنه، فقال له رجل من أصحابه: لا يمنعك مكان ابن سلام أن تسب نعتاً فإنه من شيعته، قال: قلت: لقد قلت القول العظيم في يوم القيامة للخلقة من بعد نوح.

٣- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

أخرج ابن شبة^(٢) بسند حسن لما وقف عليهم سعد بن مالك فقال: أفيهم قتلكم تركتموه وهو في خطيئته حتى إذا تطهر منها قتلتموه فجعلو اقرعونه بالرماح حتى سقط لجنبه، وجعل يقول: هلم فاقتلوني فلقد أصابت أمي اسمي إذن إذ سممتني سعداً. وأقبل الأشر فنهاهم وقال: يا عباد الله اتخذتم أصحاب محمد بديناً؟ وخرج سعد يدعو ويقول: «اللهم إني فررت بديني من مكة إلى المدينة، وأنا أفر من المدينة إلى مكة».

(١) في «تاريخ المدينة» (٣/ ١١١٠).

(٢) في «تاريخ المدينة» (٣/ ١١٢٨).

٤- موقف الحسن بن علي عليه السلام

وهو ما رواه ابن شبة ^(١) عن كنانة مولى صفية قال: كُنتُ فِيْمَنْ يَحْمِلُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جَرِيحًا مِنْ دَارِ عُثْمَانَ عليه السلام.

٥- وهذا موقف علي بن أبي طالب عليه السلام.

أخرج ابن شبة ^(٢) بسندٍ صحيح عن أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: لَمَّا أُلْحِ عَلَى عُثْمَانَ بِالرَّمْيِ أَتَيْتُ عَلِيًّا عليه السلام فَقُلْتُ: يَا عَمَّ أَهْلَكْتَنَا الْحِجَارَةَ. فَقَالَ: انْطَلِقْ يَا ابْنَ أَخِي فَخَرَجْتُ وَخَرَجَ مَعِيَ فَلَمْ يَزَلْ يَرْمِي مَعَهُ حَتَّى فُتِرَ مِنْكِبَاهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي اجْمَعْ إِلَيْكَ حَشَمَكَ وَمَنْ كَانَ مِنْكَ بِسَبِيلٍ، ثُمَّ لَيْكُنْ هَذَا شَأْنَكُمْ.

وفي رواية ^(٣): عن إسحاق بن راشد عن أبي جعفر عن أبان بن عثمان أنه أتى علياً فقال يا عم أهلكتنا الحجارة فجاء علي حتى دخل فلم يزل يرميهم بيمينه حتى وهنت ثم لم يزل يرميهم بشماله حتى وهنت فقال يا ابن أخي اجمع حشمك وأفعل كما تراني .

(١) في «تاريخ المدينة» (٤/ ١٢٧٥).

(٢) في «تاريخ المدينة المنورة» (٤/ ١٢٢٠).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ٣٦٩).

وكان علي عليه السلام من أدفع الناس عن عثمان عليه السلام:

أخرج ابن أبي خيثمة ^(١) بسندٍ قوّاه الذهبي ^(٢) عَنْ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ؛ قَالَ: قَالَ لِي مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ: مَا كَانَ فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ أَدْفَعَ عَنْ صَاحِبِنَا؛ - يَعْنِي: عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ - مِنْ صَاحِبِكُمْ - يَعْنِي: عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، قُلْتُ: فَمَا بِالْكُمِ تَسُبُّوهُ عَلَى الْمَنَابِرِ؟ قَالَ: لَا يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ إِلَّا بِذَاكَ.

٦ - إنكار جابر بن عبد الله ومحمد بن مسلمة عليهما السلام على

الخارجي المحتج بالقرآن.

أخرج سعيد بن منصور وغيره ^(٣) بسندٍ صحيح عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: بَعَثَنَا عُثْمَانُ فِي خَمْسِينَ رَاكِبًا، وَأَمِيرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى ذِي خَشَبٍ اسْتَقْبَلَنَا رَجُلٌ فِي عُنُقِهِ مُصْحَفٌ، مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ، تَذْرِفُ عَيْنَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا يَأْمُرُنَا أَنْ نَضْرِبَ بِهَذَا - يَعْنِي السَّيْفَ - عَلَى مَا فِي هَذَا، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: «اجْلِسْ

(١) في «تاريخه» (٣٩٠١) وابن عساكر في «تاريخه» (٤٣٨ / ٢).

(٢) في «تاريخ الإسلام» (٢٥٢ / ٢).

(٣) في «سننه» (٢٩٣٥) وابن شبة في «تاريخ المدينة» (١١٣٤ / ٤).

فَنَحْنُ قَدْ ضَرَبْنَا هَذَا عَلَى مَا فِي هَذَا قَبْلَكَ أَوْ قَبْلَ أَنْ تُوَلَّدَ» قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُهُمْ حَتَّى رَجَعُوا قَالَ عَمْرُو: سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ: فَزَعَمُوا أَنَّهُمْ وَجَدُوا كِتَابًا إِلَى ابْنِ سَعْدٍ^(١) وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وهذا يدل على أن عثمان رضي الله عنه كان يبعث البعث لمناصحة الخوارج، ولكن دون جدوى، ولكل داء دواء يستطب به إلا الحماقة أعمت من يداويها، فلم يجد معهم شيئاً، وما احتجزوا عنه حتى قتلوه قَبَّحَهُمُ اللَّهُ، وكما فعلوا مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والله المستعان.

٧- موقف عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

أخرجه أحمد^(٢) بسند صحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ: قَاتِلْهُمْ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ أُحِلَّ لَكَ قِتَالُهُمْ، فَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ لَا أُقَاتِلُهُمْ أَبَدًا، قَالَ: فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَهُوَ صَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ كَانَ عُثْمَانُ أَمَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى الدَّارِ، فَقَالَ عُثْمَانُ: مَنْ كَانَتْ لِي عَلَيْهِ طَاعَةٌ فَلْيُطِيعْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ.

(١) يعني الكتاب المزور على عثمان رضي الله عنه وقد ذكرنا تبرئته من هذا الكتاب.

(٢) في «الفضائل» (٧٧٢) .

٨- موقف أبي هريرة رضي الله عنه

أخرج الآجري^(١) بسند صحيح عن أبي هريرة قال: دخلت على عثمان رضي الله عنه يوم الدار فقلت: يا أمير المؤمنين، طاب أو ضرب فقال: يا أبا هريرة، «أيسرك أن يقتل الناس جميعاً وإيائي معهم؟» قال: قلت: لا قال: «فإنك والله إن قتلت رجلاً واحداً فكأنما قتلت الناس جميعاً» قال: فرجعت ولم أقاتل قال الأعمش: وكان أبو صالح إذا ذكر ما صنع بعثمان بكى. قال الأعمش: كأي أسمعته يقول: هاه، هاه.

٩- موقف أم المؤمنين صفية رضي الله عنها

فأخرج ابن الجعد^(٢) بإسناد صحيح إلى كنانة قال: كنت أقود بصفية بنت حبي لتردد عن عثمان عليه السلام، فلقيها الأشر ف ضرب وجهه بغلتها حتى مالت، فقالت: ردوني لا يفضحني هذا الكلب قال: فوضعت خشباً بين منزلها وبين منزل عثمان، ينقل عليه الطعام والشراب.

(١) في «الآجري» (١٤٤٤).

(٢) في «الجلديات» (٢٦٦٦).

١٠ - وموقف أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها ذكرته في غير هذا

الموطن.

سلامة صدورهم لكعب بن مالك وصاحبيه بعد ذنبهما في التخلف عن رسول الله

ﷺ في غزوة تبوك:

قال كعب في حديثه: فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى عَلَى جَبَلٍ سَلَعَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَأَذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعَ مَنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللَّهُ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَأَنْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ:

لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهْرَوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ».

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَانَتْهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ.. الحديث (١).

قال كعب بن مالك ~~رضي عنه~~ (٢): «..وَكَانَ -يعني: النبي ﷺ- يَبْدَأُ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ رَكَعَتَيْنِ، وَنَهَى النَّبِيَّ ﷺ عَنْ كَلَامِي، وَكَلَامِ صَاحِبِي، وَلَمْ يَنْهَ عَنْ كَلَامِ أَحَدٍ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ غَيْرِنَا، فَاجْتَبَبَ

(١) وهو ضمن حديث في الصحيحين البخاري برقم (٤٤١٨) ومسلم برقم

(٢٧٦٩).

(٢) كما في «صحيح البخاري» (٤٦٧٧).

النَّاسُ كَلَامَنَا، فَلَبِثْتُ كَذَلِكَ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ الْأَمْرُ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فَلَا يُصَلِّيَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، أَوْ يَمُوتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَكُونَ مِنَ النَّاسِ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ فَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلَا يُصَلِّيَ وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيَّ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، حِينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الْآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي شَأْنِي مَعْنِيَةً فِي أَمْرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ تَيْبَ عَلَى كَعْبٍ»، قَالَتْ: أَفَلَا أُرْسِلُ إِلَيْهِ فَأُبَشِّرُهُ؟ قَالَ: «إِذَا يَحْطِمُكُمُ النَّاسُ فَيَمْنَعُونَكُمْ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ»^(١)، حَتَّى إِذَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْفَجْرِ أَذَّنَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا، وَكَانَ إِذَا اسْتَبَشَرَ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَانَتْهُ قِطْعَةٌ مِنَ الْقَمَرِ... الحديث.

الله أكبر!

سلامة صدر أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأصحاب النبي ﷺ ممن هم دونه

في المنزلة

أخرج مسلم عن عائذ بن عمرو، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ، أَتَى عَلَى

(١) هذا خلق مشهور معروف عندهم، رزقنا الله القيام بحقوق الأخوة.

سَلْمَانَ، وَصَهَيْبٍ، وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذْتَ سُيُوفَ اللَّهِ مِنْ عُنِي عَدُوِّ اللَّهِ مَا خَذَهَا، قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟، فَآتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتُ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ» فَاتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي^(١).

سلامة صدر حذيفة رضي الله عنه للصحابه رضي الله عنهم مع قتلهم لأبيه خطأ أثناء

غزوة أحد

أخرج البخاري^(٢) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ هَزِمَ الْمُشْرِكُونَ، فَصَاحَ إِبْلِيسُ: أَيُّ عِبَادَ اللَّهِ أُخْرَاكُمْ، فَرَجَعْتُ أَوْلَاهُمْ فَاجْتَلَدْتُ هِيَ وَأُخْرَاهُمْ، فَنَظَرْتُ حَذِيفَةَ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ الْيَمَانِ، فَقَالَ: أَيُّ عِبَادَ اللَّهِ أَبِي أَبِي، فَوَاللَّهِ مَا اخْتَجَزُوا حَتَّى قَتَلُوهُ، فَقَالَ: حَذِيفَةُ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ، قَالَ عُرْوَةُ فَمَا زَالَتْ فِي حَذِيفَةَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ خَيْرٌ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ».

(١) برقم (٢٥٠٤).

(٢) برقم (٣٢٩٠).

سلامة الصدور بين أمهات المؤمنين وغيرهنّ، وفي هذا مواقف:

منها قول عائشة رضي الله عنها - كما في حديث الإفك المشهور عن أم مسطح: **تَعَسَّ مِسْطَحٌ!**

وَمِسْطَحٌ لَقَبٌ وَاسْمُهُ عَوْفٌ، قَالَتْ: قُلْتُ ^(١): بِئْسَ -لَعَمْرُ اللَّهِ- مَا قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَتْ: أَوْ مَا بَلَغَكَ الْخَبْرُ يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: وَمَا الْخَبْرُ؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِالَّذِي كَانَ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ...

وفيه: قَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ يَكُونُوا مِنَ الْأَوْسِ نَكْفِكَهُمْ، وَإِنْ يَكُونُوا مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزَرَجِ، فَمَرْنَا بِأَمْرِكَ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَأَهْلٌ أَنْ تُضْرَبَ أَعْنَاقُهُمْ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَرَى رَجُلًا صَالِحًا، فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لَا نَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ، أَمَا وَاللَّهِ مَا قُلْتُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ إِلَّا أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُمْ مِنَ الْخَزَرَجِ وَلَوْ كَانُوا مِنْ قَوْمِكَ مَا قُلْتَ هَذَا، فَقَالَ أُسَيْدٌ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ...

(١) هي عائشة رضي الله عنها.

وفيه: فدعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأسماءة بن زيد، فاستشارهما، فأما أسماءة فأثنى علي خيرا وقاله، ثم قال: يا رسول الله، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرا، وهذا الكذب والباطل.. وفيه: فتقول والله ما أعلم إلا خيرا، وما كنت أعيب على عائشة شيئا، إلا أنني كنت أعجن عجيني، فأمرها أن تحفظه، فتنام عنه، فتأتي الشاة فتأكله...

وفيه: قالت: وكان كبر ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصيني^(١) في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيرا وأما حمنة بنت جحش، فأشاعت من ذلك ما أشاعت، تضادني^(٢) لأختها، فشقيت بذلك^(٣).

(١) أي تاميني وتعادلني.

(٢) تغيطني وتشقى لها.

(٣) وأصل الحديث في الصحيحين.

وبمناسبات زواج له من إحداهن قالت عائشة رضي الله عنها: وَاتَّبَعْتُهُ،
فَجَعَلَ يَتَّبِعُ حُجَرَ نِسَائِهِ، فَجَعَلَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ وَيَقْلَنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ قَالَ: فَمَا أَذْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ
قَدْ خَرَجُوا أَوْ أُخْبِرَ، قَالَ: فَاَنْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ..^(١)

وفي الصحيح ^(٢) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَرْنَبَ
بُنْتِ جَحْشٍ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ، فَأُرْسِلَتْ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا فَيَجِيءُ قَوْمٌ
فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، فَدَعَوْتُ
حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ، قَالَ:
«ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ» وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ، فَخَرَجَ
النَّبِيُّ ﷺ فَاَنْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ»، فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ
أَهْلَكَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، فَتَقَرَّرَى حُجَرَ نِسَائِهِ كُلِّهِنَّ، يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ
لِعَائِشَةَ، وَيَقْلَنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ..

وهذا موقف آخر:

(١) أخرج ذلك أحمد في «المسند» (١٣٠٢٥).

(٢) البخاري (٤٧٩٣) ومسلم (١٤٢٨).

أخرج ابن سعد بسند حسن عن يزيد بن الأصم قال: تَلَقَّيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ مُقْبِلَةٌ مِنْ مَكَّةَ أَنَا وَابْنُ طَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا وَقَدْ كُنَّا وَقَعْنَا فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَأَصَبْنَا مِنْهُ فَبَلَغَهَا ذَلِكَ فَأَقْبَلَتْ عَلَى ابْنِ أُخْتِهَا تَلُومُهُ وَتَعْدِلُهُ ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيَّ فَوَعظْتَنِي مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ثُمَّ قَالَتْ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاقِكَ حَتَّى جَعَلَكَ فِي بَيْتِ نَبِيِّهِ؟ ذَهَبْتَ وَاللَّهِ مَيِّمُونَهُ وَرَمَى بِحَبْلِكَ عَلَى غَارِبِكَ أَمَا إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَتْقَانَا لِلَّهِ وَأَوْصِلَنَا^(١).

وتأمل ما أخرجه البخاري^(٢) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: «ادْفِنِّي مَعَ صَوَاحِبِي، وَلَا تَدْفِنِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْبَيْتِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُرَكَّى».

تعني: كراهية أن يقال: دفنت على حدة ولم تدفن معهنَّ لفضل فيها عنهنَّ، مع أن النبي ﷺ قال فيها **ههنا**: «...» وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ^(٣).

(١) في «الطبقات الكبرى» (٨ / ١٣٨).

(٢) برقم (٧٣٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤١١) ومسلم (٢٤٣١).

ولقد كانت أحبهنَّ إلى رسول الله ﷺ^(١).

وهي من العلم الشرعي عند الصحابة رضي الله عنهم بمكان

فقد قال أبو موسى رضي الله عنه: مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثُ قُطٍّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا^(٢).

وفضائلها أكثر من أن تُحصَر في هذا المقام.

سلامة صدور الصحابة رضي الله عنهم حتى في نقاط الخلاف بينهم:

أخرج النسائي^(٣) بسند صحيح عَنْ نَاشِرَةَ بْنِ سُمَيِّ الْيَزِينِيِّ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ فَقَالَ : إِنِّي أَعْتَدُ إِيَّكُمْ مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَإِنِّي أَمَرْتُهُ أَنْ يَحْبِسَ هَذَا الْمَالَ عَلَى

(١) ففي صحيح البخاري (٣٦٦٢) ومسلم (٢٣٨٤) قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه ،

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ : « أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ

إِلَيْكَ ؟ قَالَ : « عَائِشَةُ » ، فَقُلْتُ : مِنْ الرِّجَالِ ؟

فَقَالَ : « أَبُوهَا » ، قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ » فَعَدَّ رِجَالًا .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٤٧) بسند ثابت

(٣) في «الكبرى» (٨٢٢٥).

ضَعَفَ الْمُهَاجِرِينَ ، فَأَعْطَاهُ ذَا الْبَأْسِ ، وَذَا الشَّرَفِ ، وَذَا اللِّسَانِ ،
فَنَزَعَتْهُ ، وَأَمَرْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ حَفْصِ بْنِ
الْمُغِيرَةِ : لَقَدْ نَزَعْتَ عَامِلًا اسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَغْمَدْتَ سَيْفًا
سَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَوَضَعْتَ لِيَوَاءَ نَصْبِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَقَدْ قَطَعْتَ
الرَّحِمَ ، وَحَسَدْتَ ابْنَ الْعَمِّ .

فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّكَ قَرِيبُ الْقَرَابَةِ ، حَدِيثُ السِّنِّ ، مُغْضَبٌ فِي ابْنِ
عَمِّكَ .

وحاشا عمر رضي الله عنه ألا يكون إلا سليم الصدر، والله المستعان .

تأمل سلامة صدر خالد بن الوليد وحاله رضي الله عنه - وهو سيف الله
الذي لم يهزم في حياته مع كثرة تأميره على الجيوش - لم يتدّمر ولم
يعترض ولم يهجم على ظنّ عمر به .

بل هو كما قال عليه السلام طُوبَى لَهُ عَبْدٌ سَلِيمُ الصَّدْرِ نَقِيًّا مِنْ حُظُوظِ
النَّفْسِ وَحُبِّ الظُّهُورِ الَّذِي كَمَ مِنْ ظُهُورِ قَصَمَ ، آخِذٌ رضي الله عنه بِعِنَانِ
فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ ، مُغْبِرَةٌ قَدَمَاهُ ، إِنْ كَانَ فِي
الْحِرَاسَةِ ، كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ فَنَعَمْ
العبد كما وصفه عليه السلام .

وقد أخرج ابن سعد ^(١) بسند صحيح كالشمس رواته بدور عن قيس بن أبي حازم يقول: لَمَّا مَاتَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ عُمَرُ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا سُلَيْمَانَ. لَقَدْ كُنَّا نَظُنُّ بِهِ أُمُورًا مَا كَانَتْ.

فلم يتهم خالد بن الوليد رضي الله عنه بإساءة الظن به، ومن الظن ما لا يغني من الحق، وقد أمر الله في كتابه باجتنابه في نص القرآن وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ» ^(٢).

فلم يحتج عليه خالد بمثل ذلك ولعله لم يخطر له على بال لسلامة صدره جهة عمر رضي الله عنه.

كما لم يحتج في تبرئته من الظلم بالعموم المأخوذ من قوله ﷺ حين ذكر له أن خالدًا منع زكاه ماله: «...وَأَمَّا خَالِدٌ: فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا، قَدْ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتَدَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...» ^(٣).

ولا يكونه « سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ » بنص كلامه ﷺ

(١) في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٢٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٤٣) ومسلم (٢٥٦٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦٨) ومسلم (٩٨٣).

(١) ولا يكون سيف من سيوف الله إلا بإصابة الحكمة.

لم يحتج خالد على تخطئة عمر في رأيه بمثل هذا ولا بمثله
وفضائله جمّة، وذلك لسلامة صدره.

ثم تأمل سلامة صدر عمر نفسه حين قال ما قال بشأن خالد بعد
موته: «يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا سُلَيْمَانَ. لَقَدْ كُنَّا نَظُنُّ بِهِ أُمُورًا مَا كَانَتْ» ولم
يطلب رأي عمر في خالد في هذا التوقيت حتى يخطئ نفسه على ملاء
جازماً بخطأ ظنه قبل بخالد، مع منزلته وثبوت أجره على اجتهداه
على كل حال.

بل عذر عمر رضي الله عنه أبا عمرو بن حفص بن المغيرة فيما قال مما
لا ينبغي أن يقابل به الأمير لا سيما مثل أميره عمر بن الخطاب.
عذره بأنه إنما قال ما قال لصغر سنّه، ولكونه كان مغضباً غضباً
ينجو معه من الإثم فيما قال حين اتهم عزل عمر خالدًا لحسده له
وحاشاه رضي الله عنه فقال له عمر:

«إِنَّكَ قَرِيبُ الْقَرَابَةِ، حَدِيثُ السِّنِّ، مُغْضَبٌ فِي ابْنِ عَمِّكَ».

فلم يتهمة، بل عذره فيما قال.

الله أكبر !

نعم والله هم كما قال سُفْيَانُ بْنُ دِينَارٍ - في الأثر المتقدم -: قُلْتُ لِأَبِي بَشِيرٍ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنْ أَعْمَالٍ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا؟ قَالَ: «كَانُوا يَعْمَلُونَ سِيرًا وَيُؤْجِرُونَ كَثِيرًا» قَالَ: قُلْتُ: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: «لِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ».

سلامة الصدر بين عمر بن الخطاب والعباس بن عبد المطلب وموقف كل

منهما يوم إسلام أبي سفيان بن حرب

أخرج الطبراني ^(١) بسند حسن عن ابن عباس عليه السلام، قَالَ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا رُحْمٍ كُلْثُومَ بْنَ حُصَيْنٍ الْغِفَارِيَّ، وَخَرَجَ لِعَشْرِ مَضِينَ مِنْ رَمَضَانَ، «فَصَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْكَدِيدِ مَا بَيْنَ عُسْفَانَ وَأَمَجَ أَفْطَرَ»، ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ

(١) في «الكبير» (٩ / ٨) رقم (٧٢٦٤) وغيره، وأخرجه أحمد (٢٣٩٢) مختصراً بنفس

الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُزَيْنَةٍ وَسَلِيمٍ، وَفِي كُلِّ الْقَبَائِلِ عَدَدٌ وَإِسْلَامٌ، وَأَوْعَبَ
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَرِّ الطَّهْرَانِ، وَقَدْ عَمِيَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ
قُرَيْشٍ، فَلَمْ يَأْتِيهِمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَبَرٌ، وَلَا يَدْرُونَ مَا هُوَ فَاعِلٌ،
خَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبَدِيلُ
بْنُ وَرْقَاءٍ يَتَحَسَّسُونَ وَيَتَتَبَرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبَرًا، أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ،

وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِنِعْصِ
الطَّرِيقِ، وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَبْدُ اللَّهِ
بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَدْ لَقِيََا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ
وَالْمَدِينَةِ، فَالْتَمَسَا الدُّخُولَ عَلَيْهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ فِيهِمَا، فَقَالَتْ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ وَصَهْرُكَ. قَالَ: «لَا حَاجَةَ لِي

بِهِمَا، أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِرْضِي، وَأَمَّا ابْنُ

عَمَّتِي وَصَهْرِي، فَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ» .

فَلَمَّا أَخْرَجَ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ، وَمَعَ أَبِي سُفْيَانَ بُنْيَ لَهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ
لَيَأْذَنَنَّ لِي أَوْ لَا أَخْذَنَ بِيَدِ ابْنِي هَذَا، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ فِي الْأَرْضِ حَتَّى
نَمُوتَ عَطْشًا وَجُوعًا، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَّ لَهُمَا، ثُمَّ

أَذِنَ لَهُمَا فَدَخَلَا وَأَسْلَمَا، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَرِّ الظُّهْرَانِ قَالَ
الْعَبَّاسُ:

وَاصْبَاحَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهُ لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ عَنُودَةً قَبْلَ أَنْ
يَسْتَأْمِنُوهُ، إِنَّهُ لَهْلَاكُ قُرَيْشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ.

قَالَ: فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى
جِئْتُ الْأَرَكَ فَقُلْتُ: لَعَلِّي أَلْقَى بَعْضَ الْحَطَّابَةِ، أَوْ صَاحِبَ لَبْنٍ، أَوْ
ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي مَكَّةَ، فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُخْرِجُوا إِلَيْهِ،
فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنُودَةً. (١)

قَالَ: فَوَاللَّهِ، إِنِّي لَا أَسِيرُ عَلَيْهَا، وَأَلْتَمِسُ مَا خَرَجْتُ لَهُ إِذْ سَمِعْتُ
كَلَامَ أَبِي سُفْيَانَ، وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ وَهُمَا يَتَرَا جَعَانٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ
يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ نِيرَانًا وَلَا عَسْكَرًا قَالَ: يَقُولُ بُدَيْلٌ: هَذِهِ
وَاللَّهُ نِيرَانُ خَزَاعَةَ حَمَشَتِهَا الْحَرْبُ. قَالَ: يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ: خَزَاعَةُ،
وَاللَّهُ أَذْلُ وَالْأَمُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانُهَا وَعَسْكَرُهَا. قَالَ:
فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ، فَقُلْتُ:

(١) وهذا لا يشبه ما فعله حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه فتنبه .

يَا أَبَا حَنْظَلَةَ، فَعَرَفَ صَوْتِي، فَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ فَقُلْتُ:

نَعَمْ. قَالَ: مَا لَكَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي. فَقُلْتُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فِي النَّاسِ وَاصْبَاحَ قُرَيْشٍ وَاللَّهُ .

قَالَ: فَمَا الْحِيلَةُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟

قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفَرَ بِكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فَارْكَبْ مَعِيَ هَذِهِ الْبَغْلَةَ حَتَّى آتِي بِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْتَأْمِنُهُ لَكَ، قَالَ: فَارْكَبْ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ، فَحَرَّكَتُ بِهِ كَلَمًا مَرَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ وَقَامَ إِلَيَّ، فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجْزِ الْبَغْلَةِ، قَالَ: أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللَّهِ!

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَكَضَتِ الْبَغْلَةُ، فَسَبَقَتْهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابَّةُ الْبَطِيءُ الرَّجُلُ الْبَطِيءُ، فَاقْتَحَمْتُ عَنِ الْبَغْلَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَدَخَلَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَدْ أَمَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُ
بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ، فَدَعْنِي فَلَا ضَرْبَ عُنُقِهِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ، إِنِّي أَجْرْتُهُ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ
فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ لَا يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ دُونِي، فَلَمَّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِي شَأْنِهِ
قُلْتُ: مَهْلًا يَا عُمَرُ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَدِيٍّ بَنِي كَعْبٍ مَا
قُلْتُ هَذَا، وَلَكِنَّكَ عَرَفْتَ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ قَالَ:
مَهْلًا يَا عَبَّاسُ، فَوَاللَّهِ لَا إِسْلَامَ لَكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَمَا بِي إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ
إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اذهَبْ بِهِ إِلَى رَحْلِكَ يَا عَبَّاسُ، فَإِذَا أَصْبَحَ فَأَنْتَبِ
بِهِ». فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي فَبَاتَ عِنْدِي، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ،
أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا
أَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ، وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى
عَنِّي شَيْئًا.

قَالَ: «وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟»

« قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ هَذِهِ، وَاللَّهِ كَانَ فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ حَتَّى الْآنَ.

قَالَ الْعَبَّاسُ: وَيَحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَسْلِمَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ، قَالَ: فَشَهِدَ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ وَأَسْلَمَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا قَالَ: «نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ» ^(١).

(١) وعند البيهقي في «الدلائل» (٣٢ / ٥) بنفس السند الحسن فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا

رَسُولَ اللَّهِ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الشَّرَفَ وَالذِّكْرَ فَأَعْطِهِ شَيْئًا يَتَشَرَّفُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ، وَمَا تَسْعُ دَارِي؟ فَقَالَ: «مَنْ دَخَلَ الْكَعْبَةَ فَهُوَ آمِنٌ» فَقَالَ: وَمَا تَسْعُ الْكَعْبَةُ فَقَالَ: مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ فَقَالَ: وَمَا يَسْعُ الْمَسْجِدُ فَقَالَ: «مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ فَقَالَ هَذِهِ وَاسِعَةٌ».

وفي رواية أبي داود (٣٠٢١) بنفس السند بلفظ: فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَلَوْ جَعَلْتَ لَهُ شَيْئًا، قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ».

فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَبَّاسُ، احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فَيَرَاهَا» (١).

سلامة صدر حاطب بن أبي بلتعة يوم كتب إلى كفار قريش يخبرهم بمسير النبي ﷺ لفتح مكة.

أخرج البخاري ومسلم عن عليٍّ رضي الله عنه يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ، وَالْمِقْدَادُ، فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ

أنظر الذي كان قائداً لقومه يوردهم النار يوم الأحزاب وغيره - وبئس الورد المورد -، كيف تبدّل حاله بعد إسلامه، فصار يطلب لهم النجاة بمجرّد إسلامه! يحذّرهم مما يضرّهم يقول لهم: «يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به» رأيت كيف يعمل الإسلام في تزكية أهله بمجرّد النطق بالشهادتين، والأمثلة كثيرة، موقف هند بنت عتبة، وضاد الأزد، وغيرهما!

(١) وهذا من حكمته البالغة ﷺ فإن هذا يُذهب ما يمكن أن يكون في نفسه من هذه الشهادة مما قاله لرسول الله ﷺ فيريد أن يُريه عزّة المؤمنين وقوتهم وأثر الإيمان بالله ورسوله، ويُريه عظمة الله وقدرته سبحانه، وامتثانه على أوليائه، فالله لا تحرمنا من منّك وعطاياك لا في الدنيا ولا في الآخرة إله الحق، اللهم آمين .

خَاخ، فَإِنَّ بِهَا ظِعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوا مِنْهَا»

قَالَ: فَأَنْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ
بِالْظُّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِيَ كِتَابٌ، فَقُلْنَا:
لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا،
فَأْتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، إِلَى نَاسٍ
بِمَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟» .

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مُلْصَقًا فِي
قُرَيْشٍ، يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيفًا، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ
فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي،
وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضَى بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ
، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبُ
عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ:

« إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ».

فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ } [الممتحنة: ١] - إِلَى قَوْلِهِ - { فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } [البقرة: ١٠٨]. (١)

وأخرج أحمد (٢) بإسنادٍ على شرط مسلم (٣) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَنَّ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرَادَ غَزْوَهُمْ، فَذُلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَرْأَةِ الَّتِي مَعَهَا الْكِتَابُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُخِذَ كِتَابُهَا مِنْ رَأْسِهَا، وَقَالَ: «يَا حَاطِبُ،

(١) البخاري (٤٢٧٤) ومسلم (٢٤٩٤).

(٢) برقم (١٤٧٧٤) ورجال إسناده ثقات.

(٣) كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢٨٥/٤) ونص قوله:

«وإِسْنَادُهُ عَلَى شَرَطِ مُسْلِمٍ» وهو كذلك.

أَفَعَلْتَ؟» قَالَ: نَعَمْ، أَمَا إِنِّي لَمْ أَفْعَلْهُ غِشًّا لِرَسُولِ اللَّهِ - وَقَالَ
يُونُسُ ^(١): غِشًّا يَا رَسُولَ اللَّهِ - وَلَا نِفَاقًا، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ مُظْهِرُ
رَسُولِهِ، وَمُتِمُّ لَهُ أَمْرَهُ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ عَزِيزًا بَيْنَ ظَهْرِيهِمْ، وَكَانَتْ
وَالِدَتِي مَعَهُمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَّخِذَ هَذَا عِنْدَهُمْ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَلَا
أَضْرِبُ رَأْسَ هَذَا؟

قَالَ: «أَتَقْتُلُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى
أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ».

سلامة صدر علي بن أبي طالب نحو جعفر بن أبي طالب وأبي بكر

أزواج أسماء بنت عميس من قبله

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ: «أَنَّ
عَلِيًّا تَزَوَّجَ أَسْمَاءَ ابْنَةَ عُمَيْسٍ ^(٢)، فَتَفَاحَرَ ابْنَاهَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ،
وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا أَكْرَمُ مِنْكَ، وَأَبِي خَيْرٌ

(١) أي شيخ الإمام أحمد في السند.

(٢) وكان قد تزوجها قبل ذلك جعفر ؑ، فلما مات عنها تزوجت أبا بكر ؑ، ثم

لما توفي أبو بكر تزوجت علي بن أبي طالب ؑ.

مِنْ أَبِيكَ ، فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ عليه السلام : أَقْضِي بَيْنَهُمَا . فَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُ شَابًّا مِنَ الْعَرَبِ خَيْرًا مِنْ جَعْفَرٍ ، وَمَا رَأَيْتُ كَهْلًا كَانَ خَيْرًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ عليه السلام : مَا تَرَكْتُ لَنَا شَيْئًا ، وَلَوْ قُلْتُ غَيْرَ هَذَا لَمَقْتُكَ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ إِنْ ثَلَاثَةً أَنْتَ أَحْسَنُهُمْ لَخِيَارٌ» .^(١)

وَقَدْ كَانَ عَلِيٌّ عليه السلام يَتَرَحَّمُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ عليه السلام بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَيَمْدَحُهُ بِالْخَيْرِ الَّذِي صَنَعَهُ ، وَكَذَا كَانَ مَعَ عُمَرَ عليه السلام .

-
- (١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٨٤ / ٦) رقم (٣٢١٩٧) ، وابن سعد في «طبقاته» (٨ / ٢٢٢) ، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٢٠) من طريق زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبي به .
- ورواية الشعبي عن علي في صحيح البخاري .
- وزكريا يدلّس عن الشعبي ، ولكن روايته عن الشعبي في «صحيح البخاري» (١٣١٣ متابعة) و(٢٥١١ ، ٢٥١٢) ، وفي «صحيح مسلم» (٢٤٤٧) ، وفيه التصريح بالسماع منه ، و(١٥٩٩ ، ١٧٨٢ ، ٢٥٨٦ ، ٢٦٨٤) فتصحيح الأثر ليس ببعيد وإن قلنا على شرطهما ، والله أعلم .
- وقد صحح هذا الأثر الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (١٦ / ٨) ، وعزاه لابن السكن .

فَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ، عَنْ عَلِيٍّ
بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ
اللَّوْحَيْنِ». (١)

وعن سَمِعْتُ سُؤَيْدَ بْنَ غَفَلَةَ قَالَ : قَالَ عَلِيٌّ : « أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِيَّاكُمْ
وَالْغُلُوَّ فِي عُثْمَانَ ، يَقُولُونَ : حَرَقَ الْمَصَاحِفَ ، وَاللَّهُ مَا حَرَقَهَا إِلَّا عَنْ
مَلَأٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَلَوْ وُلِّيتُ مِثْلَ الَّذِي وُلِّيَ لَفَعَلْتُ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠ / ٥٤٤ ، ١٤ / ٧٢) ، وأبو عبيد في « الفضائل »

(ص ١٥٥) ، وابن سعد في « طبقاته » (٣ / ١٤٤) ، وعبد الله بن أحمد في « زوائد

الفضائل » (٢٨٠) ، والقطيعي في « زوائد الفضائل » أيضاً (٥١٣) وأبو نعيم في

« الحلية » (١ / ٦٧) وفي « المعرفة » (١ / ٣٢) وغيرهم من طريق السدي ، عن عبد

خير عن علي عليه السلام .

وهو حديث حسن رجاله ثقات ، إلا السدي فحسن الحديث .

وقد حسنه الحافظ في « الفتح » (٩ / ١٢) والسيوطي في « الإتيقان » (١ / ٦٥) ،

والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٢ / ٥٧٢ ، ٥٧٣) ، وصحح إسناده ابن كثير في

« الفضائل » (ص ٥٧) ، وراجع تمام تخريجه في تحقيقي لكتاب « المصاحف » لابن

أبي داود برقم (١٤ وما بعده) .

مِثْلَ الَّذِي فَعَلَ» ^(١).

وَعَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ : « خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عَثْمَانُ ». ^(٢)

سلامة صدر المسور بن مخرمة لمعاوية أمير المؤمنين عليه السلام مع أخذه عليه مأخذ.

فَأَخْرَجَ مَعْمَرُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ حَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : حَدَّثَنِي الْمِسُورُ بْنُ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُ وَقَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، قَالَ: فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ - حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: سَلَّمْتُ عَلَيْهِ - ثُمَّ قَالَ: «مَا فَعَلَ طَعْنُكَ عَلَيَّ الْأُتَمَّةِ يَا مِسُورٌ؟» ^(٣) قَالَ: قُلْتُ: أَرَفُضْنَا مِنْ هَذَا، أَوْ أَحْسِنُ فِيمَا

(١) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (٣٩، ٧٦، ٧٨)، وصححه الأئمة: الحافظ ابن حجر، والسيوطي، والألوسي رحمهم الله .

(٢) وهو صحيح. خرجته في تحقيقي لكتاب «المصاحف» لابن أبي داوود، وهو مطبوع .

(٣) وحاشا المسور عليه السلام أن يكون طعناً على الأمراء طعن الخوارج عليهم، فليس في الصحابة واحد يعتقد اعتقادات الخوارج، كيف وقد حاربوهم جميعاً مع علي بن أبي

قَدِمْنَا لَهُ، قَالَ: «لَتَكَلِّمَنَّ بِذَاتِ نَفْسِكَ» قَالَ: فَلَمْ أَدْعُ شَيْئًا أَعِيبُهُ بِهِ إِلَّا أَخْبَرْتُهُ بِهِ، قَالَ: «لَا أَبْرَأُ مِنَ الذُّنُوبِ فَهَلْ لَكَ ذُنُوبٌ تَخَافُ أَنْ تَهْلِكَ إِنْ لَمْ يَغْفِرَهَا اللَّهُ لَكَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا يَجْعَلُكَ أَحَقَّ بِأَنْ تَرْجُوَ الْمَغْفِرَةَ مِنِّي، فَوَاللَّهِ لَمَا أَلِي مِنَ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ،

طالب وقد قال لهم ابن عباس وهو يناظرهم: «مَا تَنْقُمُونَ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَتَنِيهِ وَأَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ؟».

أخرجه عبد الرزاق (١٨٦٧٨) بسند صحيح.

ثم إن المسور لما بين له كَانَ إِذَا ذَكَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ دَعَا لَهُ بِخَيْرٍ كما سيأتي في الرواية، فهل الخوارج كذلك يفعلون؟

وهل الخوارج ينصحون الحاكم ويخبرونه بما يعيبون عليه أمامه كما فعل المسور؟

وهل في الخوارج ذلك الإنصاف الواضح في المسور فيرجعون ويقولون كما قال المسور: «فَكَفَّرْتُ حِينَ قَالَ لِي مَا قَالَ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ خَصَمَنِي» أم أنهم لا يعودون حتى يعود السهم إلى فوقه؟

وهل المسور كان يطعن على الأمراء أمام العامة ليجرّتهم عليهم؟

والمقصود عدم الاستدلال بفعل المسور على تصويب طعن الخوارج على الأئمة فتنبه.

وإِقَامَةِ الْحُدُودِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْأُمُورِ الْعِظَامِ الَّتِي تُحْصِيهَا أَكْثَرُ مِمَّا تَلِي، وَإِنِّي لَعَلَى دِينٍ يَقْبَلُ اللَّهُ فِيهِ الْحَسَنَاتِ، وَيَعْفُو فِيهِ عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَاللَّهُ مَعَ ذَلِكَ مَا كُنْتُ لِأَخِيرَ بَيْنَ اللَّهِ وَغَيْرِهِ، إِلَّا اخْتَرْتُ اللَّهَ عَلَى مَا سِوَاهُ» قَالَ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ لِي مَا قَالَ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ خَصَمَنِي، فَكَانَ إِذَا ذَكَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ دَعَا لَهُ بِخَيْرٍ^(١).

موقف لمعاذ بن جبل رضي الله عنه يدل على محاسن ما في صدره نحو أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم :

في قصة تخلف كعب بن مالك وصاحبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك: قال كعب رضي الله عنه... وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعْبٌ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم... الحديث^(٢).

(١) في «الجامع» (٢٠٧١٧)

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩).

وهذا موقف آخر:

أخرجه الفسوي في «المعرفة» وغيره^(١) بسند حسن عن ناشرة بن سُمَيّ اليزني قال: كنت أتبع معاذ بن جبل أتعلّم منه القرآن وأخدمه^(٢)، فلما كنت في المدينة صلّيت في المسجد، وقرأت القرآن، فمرّ بي رجل، فضربَ كتفي فقال: ليس كما تقرأ، فلما فرغت أتيت معاذاً، فأخبرته بقول الرجل، فقال: أتعرفه؟ قلت: نعم، وأريته إياه؛ فانطلق إليه معاذ، فقال له: أخبرني هذا أنّك رددتَ عليه ما قرأ، فقال: نعم - وهو أبي بن كعب - يا معاذ، بعثك رسول الله ﷺ إلى اليمن، فأنزل بعدك قرآن، ونسخ بعدك قرآن، اتّني بأصحابك يعرضون عليّ القرآن. فقال معاذ: يا ناشرة، إن أعلم الناس بفاتحة القرآن أبيّ بن كعب. وإن أعلم الناس بفاتحة آيه وخاتمتها أبي بن كعب، وإن أقدر الناس على كلمة حكمة أبو الدرداء، وإن أعلم الناس بفريضته وأقسمه لها عمر بن الخطاب.

وهذا رجل امتلأ قلبه خزعبلات وغلا على عثمان بن عفان

فبُين له فرجع وبكى لصفاء قلبه فلا نامت أعين المتعصّبين

(١) في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٨١) وابن عساكر (٦١/ ٣٨٢).

(٢) انظر أدهم في قضاء حوائج أهل العلم، وخدمتهم!

للباطل :

قال سالم بن عبد الله: إن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: جاءني رجل من الأنصار في خلافة عثمان، فكلمني أن أعيب على عثمان، فتكلم كلاماً طويلاً، وفي لسانه ثقل فلم يكذ يقضي كلامه في سريح. فلما قضى كلامه قلت: إنا قد كنا نقول ورَسُولُ اللَّهِ ﷺ حي: أفضل أمة رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، وإنا والله ما نعلم عثمان فعل شيئاً بغير حق، ولا جاء من الكبراء شيئاً، ولكن هو هذا المأل: إن أعطاكموه رضيتم، وإن أعطى إلى قرابته سخطتم، إنما تريدون أن تكونوا كفارس والروم، لا يتركون لهم أميراً إلا قتلوه. قال: ففاضت عيناه من الدموع فقال: «اللهم لا تريد ذاك»^(١).

سلامة الصدور بين العلماء :

لقد كان العلماء رحمهم الله تعالى فيهم من سلامة الصدر ما ليس عند غيرهم ، مع كثرة خلافهم مع بعض في المسائل الفرعية، وفي الاستنباطات الفقهية^(٢)، ولكن كانت صدورهم متسعة لمثل

(١) أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ١١٤) بسند صحيح.

(٢) ومعلوم أن الخطأ في الأصول ليس كالخطأ في الاجتهاد في الفروع.

ذلك، وذلك لما يقرع أسماعهم من أدلة الوحي عن النبي ﷺ، وما علموه عن أسلم الناس صدورًا وهم أصحاب النبي ﷺ فمن بعدهم ممن كانوا في خير القرون.

سلامة صدور الصحابة ~~رضي الله عنهم~~ للحكام وحبهم الخير العميم

لكل المسلمين:

أخرج ابن سعد والطبراني واللفظ له بسند صحيح عن ابن
بريدة الأسلمي قال: شتم رجل ابن عباس، فقال ابن عباس:
« إِنَّكَ تَشْتُمُنِي وَفِي ثَلَاثِ خِصَالٍ: إِنِّي لَأَتِي عَلَى الْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ، فَلَوْدِدْتُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا أَعْلَمُ مِنْهَا، وَإِنِّي
لَأَسْمَعُ بِالْحُكَاكِمِ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ يَعْذِلُ فِي حُكْمِهِ فَأَفْرَحُ بِهِ، وَلَعَلِّي
لَا أَفَاضِي إِلَيْهِ أَبَدًا، وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْغَيْثِ قَدْ أَصَابَ الْبَلَدَ مِنْ بِلَادِ
الْمُسْلِمِينَ فَأَفْرَحُ، وَمَا لِي بِهِ مِنْ سَائِمَةٍ »^(١).

فقد كان الصحابة ~~رضي الله عنهم~~ والتابعون رحمهم الله كذلك.

(١) أخرجه ابن سعد الجزء المتمم لـ «الطبقات الكبرى» (٥٦) الطبراني في «الكبير»

(١٠ / ٢٦٦) رقم (١٠٦٢١) وأبو نعيم في «الحلية» (١ / ٣٢١) وغيرهم.

قال الإمام أبو حفص عمرو بن علي الفلاس: رَأَيْتُ يَحْيَى يَوْمًا حَدَّثَ بِحَدِيثٍ، فَقَالَ لَهُ عَفَّانُ: لَيْسَ هُوَ هَكَذَا.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، أَتَيْتُ يَحْيَى، فَقَالَ: هُوَ كَمَا قَالَ عَفَّانُ، وَلَقَدْ سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ لَا يَكُونَ عِنْدِي عَلَى خِلَافٍ مَا قَالَ عَفَّانُ ^(١).

قال الذهبي ^(٢): «هَكَذَا كَانَ الْعُلَمَاءُ، فَاَنْظُرْ يَا مُسْكِينُ كَيْفَ أَنْتَ عَنْهُمْ بِمَعْزِلٍ».

ومع ذلك يأبى الشيطان أن يترك حتى طلاب العلم حتى يكون بينهم من التحرش ما يجلب المفساد والشحناء فينحرف بتحرشهم ووقوع البأس بينهم، ينحرف بذلك أمة من البشر، والله المستعان.

وقد قال ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» ^(٣).

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (١٤ / ٢٠١) بسنده.

(٢) في «السير» (١٠ / ٢٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨١٢).

أي: يسعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها وهو الواقع والله المستعان.

وقد صلى النبي ﷺ ودعا دعاءً طويلاً ثم قال: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِيهَا»^(١).

فهذا البأس بين المسلمين حاصل في الأمة ولا بد.

فالعدو منهم فيهم حتى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ودونك هذا المثل الرائع:

أخرج البخاري^(٢) عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ فَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَاتَيْتُ قَوْمًا فَجَلَسْتُ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ جَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيَّ جَنْبِي، قُلْتُ: مَنْ

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٠).

(٢) برقم (٣٧٤٢).

هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَقُلْتُ: إِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسِّرَ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَيَسِّرْكَ لِي، قَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: أَوَلَيْسَ عِنْدَكُمْ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ صَاحِبِ النَّعْلَيْنِ وَالْوَسَادِ، وَالْمِطْهَرَةِ، وَفِيكُمْ الَّذِي أَجَارَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، - يَعْنِي عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ - أَوَلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ سِرِّ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ يَقْرَأُ عَبْدُ اللَّهِ: وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى؟ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ: وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى وَالذَّكْرُ وَالْأُنْثَى قَالَ: «وَاللَّهِ لَقَدْ أَفْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فِيهِ إِلَى فِيَّ».

وهذا علي بن المديني قال: قال لي هشام بن يوسف: كان عبد الرزاق أعلمنا، وأحفظنا .

قال الذهبي^(١) معلقًا: هَكَذَا كَانَ النَّظَرَاءُ يَعْتَرِفُونَ لِأَقْرَانِهِمْ بِالْحِفْظِ.

وقد تناظر الشافعي مع الإمام محمد بن الحسن الشيباني :

(١) في «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٥٦٦).

فقال الشافعي: ما رأيت سميناً أخف روحاً من محمد بن الحسن، وما رأيت أفصح منه وأعقل منه، ما ناظرت أحداً إلا عَفَرَ وجهه ما خلا محمد بن الحسن^(١).

قال يونس الصّديّ: مَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنَ الشَّافِعِيِّ، نَاظَرْتُهُ يَوْمًا فِي مَسْأَلَةٍ، ثُمَّ افْتَرَقْنَا، وَلَقِينِي، فَأَخَذَ بِيَدِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، أَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُونَ إِخْوَانًا وَإِنْ لَمْ نَتَّفَقْ فِي مَسْأَلَةٍ^(٢).

مع أن يونس قد استفاد من مصاحبة الشافعي، فلم يكن مقلداً، وإنما كان يناقشه وينظره، ويختلف معه أحيانا ولا يتفق^(٣).

قال الذهبي: «قُلْتُ»: هَذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ عَقْلِ هَذَا الْإِمَامِ، وَفَقِهِ نَفْسِهِ، فَمَا زَالَ النُّظَرَاءُ يَخْتَلِفُونَ.

تنبيه :

(١) «سلم الوصول إلى طبقات الفحول» (١٢٣/٣) والخبر في «تاريخ بغداد» (١٧٢/٢) بسنده.

(٢) قاله الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠/١٦).

(٣) «تاريخ ابن يونس» (٢/٢٧٥).

يقول في «السير» (١٤ / ٤٠) في ترجمة محمد بن نصر المروزي

:

«وَلَوْ أَنَّا كَلَّمَا أَخْطَأَ إِمَامٌ فِي اجْتِهَادِهِ فِي أَحَادِ الْمَسَائِلِ خَطَأً
مَغْفُورًا لَهُ، قُمْنَا عَلَيْهِ، وَبَدَّعْنَاهُ، وَهَجَرْنَاهُ، لَمَا سَلِمَ مَعَنَا لَا ابْنُ نَصْرِ،
وَلَا ابْنُ مَنَدَةَ، وَلَا مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمَا، وَاللَّهُ هُوَ هَادِي الْخَلْقِ إِلَى
الْحَقِّ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
الْهَوَى وَالْفَظَاظَةِ». اهـ

(١) من سلامة صدور أهل العلم عند الردود عليهم

عن هُزَيْلِ بْنِ شَرَحْبِيلٍ، قَالَ: سُئِلَ أَبُو مُوسَى عَنْ بِنْتٍ وَابْنَةٍ ابْنِ
وَأُخْتٍ، فَقَالَ: لِلْبِنْتِ النِّصْفُ، وَلِلْأُخْتِ النِّصْفُ، وَأَتِ ابْنُ مَسْعُودٍ،
فَسَيِّئًا بَعْثِي، فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى فَقَالَ: لَقَدْ
ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ:
«لِلْبِنْتِ النِّصْفُ، وَلِلْبِنْتِ ابْنِ السُّدُسِ تَكْمِلَةَ الثَّلَاثِينَ، وَمَا بَقِيَ
فِلِلْأُخْتِ» فَأَتَيْنَا أَبَا مُوسَى فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: لَا

(١) تلك التي لم يطبقها أهل الأهواء، فما إن يرد عليه راد إلا ويمتلئ قلبه حنقا

وحقداً وغلا عليه، وماذا يُنتظر من أهل البدع

تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الْحَبْرُ فِيكُمْ^(١).

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: قَالَ جُنْدَبٌ: جِئْتُ يَوْمَ
الْجُرْعَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، فَقُلْتُ: لِيُهْرَاقَنَّ الْيَوْمَ هَاهُنَا دِمَاءٌ، فَقَالَ
ذَلِكَ الرَّجُلُ: «كَلَّا، وَاللَّهِ» قُلْتُ: بَلَى، وَاللَّهِ قَالَ: «كَلَّا، وَاللَّهِ» قُلْتُ:
بَلَى، وَاللَّهِ قَالَ: «كَلَّا، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنِيهِ»، قُلْتُ:
بِئْسَ الْجَلِيسُ لِي أَنْتَ مُنْذُ الْيَوْمِ، تَسْمَعُنِي أُخَالِفُكَ وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَنْهَانِي، ثُمَّ قُلْتُ: مَا هَذَا الْغَضَبُ؟ فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ
وَأَسْأَلُهُ، فَإِذَا الرَّجُلُ حُذِيفَةُ^(٢).

وَأَخْرَجَ ابْنُ الْجَعْدِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ: قُلْتُ لِحَمَّادٍ^(٣):
كُنْتُ رَأْسًا، وَكُنْتَ إِمَامًا فِي أَصْحَابِكَ، فَخَالَفْتَهُمْ؛ فَصُرْتَ تَابِعًا قَالَ:
«إِنِّي أَنْ أَكُونَ تَابِعًا فِي الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَكُونَ رَأْسًا فِي الْبَاطِلِ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٧٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٩٣).

(٣) وهو حماد بن أبي سليمان، وقد كان يرى الإرجاء ثم رجع إلى الحق.

(٤) في «الجعديات» (٣٥٧).

وأخرج السلفي ^(١) بسنده عن عبد الرحمن بن مهدي، قال: «كُنَّا في جَنَازَةٍ فِيهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ وَهُوَ عَلَى الْقَضَاءِ، فَلَمَّا وُضِعَ السَّرِيرُ جَلَسَ وَجَلَسَ النَّاسُ حَوْلَهُ، قَالَ فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَعَلَطَ فِيهَا، فَقُلْتُ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، الْقَوْلُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كَذَا وَكَذَا إِلَّا إِنِّي لَمْ أُرِدْ هَذِهِ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَكَ إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا، فَأَطْرَقَ سَاعَةً وَقَالَ: إِذَا أَرْجِعُ وَأَنَا صَاغِرٌ لَأَنْ أَكُونَ ذَنْبًا فِي الْحَقِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ رَأْسًا فِي الْبَاطِلِ».

(١) في «الطيوريات» (٣٥٨) والشجري في «ترتيب الأمالي الخميسية» (٣٦٠) وسنده

الأسباب الشرعية المعينة على تحقيق سلامة الصدر ستة :

١- البعد عن الذنوب والمعاصي فهي من أسباب الشحناء والبغضاء والقطيعة بين الناس.

فعن البراء بن عازب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « مَا اخْتَلَجَ عِرْقٌ وَلَا عَيْنٌ إِلَّا بِذَنْبٍ ، وَمَا يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ ». (١)

وقال النبي ﷺ : «مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فِي اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ أَوْ فِي الْإِسْلَامِ ، فَيَفْرُقُ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا». (٢)

فما دام أحد الصديقين غير تقي فلا بد أن يبغضه صاحبه التقي بمرور الوقت، وبإصراره على المعصية، والرجل يُحرم الرزق بالذنوب

(١) أخرجه الطبراني في «الصغير» (١٠٥٣)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان»

(٢/ ٢١٧) ترجمة محمد بن حسنية رقم (١٥٠٢) بإسناد صحيح .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٧١٩) ، وأحمد (٦٨/ ٢ ، ٧١/ ٥) ، والبخاري

في « الأدب المفرد » (٤٠١) وإسحاق بن راهوية في « مسنده » (٤٥٣) وغيرهم

بإسناد صححه الألباني بمجموع الطرق في « الصحيحة » (٦٣٧).

يصيبه . وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، مَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ كَمَا قَالَ ﷺ.

٢- الدعاء بتأليف القلوب وإصلاح ذات البين.

ومن دعاء أهل الإيـمان: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٠١﴾ الحشر.

فاللهم لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا.

وما ورد عن النبي ما أخرجه أبو داود^(١) بسند صحيح عن ابن عباسٍ قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو: «رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَانصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مَطْوَعًا إِلَيْكَ، مُحِبًّا، أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي» .

ومن الأدعية: **اللَّهُمَّ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلَحِ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا، قَابِلِيهَا وَأَتِمِّمَهَا عَلَيْنَا**

٣- دفع السيئة بالتي هي أحسن، كما قال تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ﴿٢٥﴾ فصلت.

فلمقابلة الإساءة بالإحسان الأثر البالغ، فصل مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ تجد الأثر البالغ، وبالله التوفيق.

وقد أخرج ابن أبي الدنيا والدينوري واللفظ له بسند ثابت عن

الأصمعيّ؛ قال: أَسْمَعَ رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ كَلَامًا، فَقَالَ لَهُ الشَّعْبِيُّ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا؛ فَغْفَرَ اللَّهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا؛ فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

هَيْنَأَ مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُحَامِرٍ... لِعَزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ^(١).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإشراف» (٢٥٩) والدينوري في «المجالسة» (٨٠٠)



وتقدم من الأدلة في سلامة الصدر للأرحام والجيران ما يخدم هذا البند إن شاء الله.

٤- الصدقة فهي عامل من عوامل تطهير الصدور والنفوس عما يعوقها عن الخير.

قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٣) ﴿ التوبة.

٥- أن ينظر كل إنسان فيما أعده الله لمن عفا وأصلح. وكم للعفو من أثر عظيم في أمثلة لا يأتي عليها الحصر، فالعفو يحول القلب تحويلاً عجيلاً، ويزرع فيه السلامة.

فتأمل أثره لما عفا عليه الصلاة والسلام عن ثمامة بن أثال، وهند بنت عتبة، والطلاق يوم فتح مكة ~~هــ~~.

وانظر أثر عفو حذيفة بن اليمان ~~هــ~~ عن قتلوا أباه خطأ في غزوة أحد، والأمثلة كثيرة لا يأتي عليها الحصر.

٦- الزهد في الدنيا والاستعداد للرحيل عنها وعدم الركون

إليها:

أعني من أقوى ما يعين على سلامة الصدر أن يعيش المرء كأنه غريب في هذه الدنيا فلا تمتد عينه لدنيا الناس وما عندهم فلا يحسد هم.

ودليل ذلك

ما أخرجه البخاري ^(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَتَنَظَّرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَتَنَظَّرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صَحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

قال الكرمانى ^(٢): «كأنك غريب»: كلمة جامعة لأنواع النصائح إذ الغريب لقلة معرفته بالناس قليل الحسد والعداوة والحقد والنفاق والنزاع وسائر الرذائل التي منشأها الاختلاط بالخلائق.

(١) برقم (٦٤١٦).

(٢) «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (٢٢/ ١٩٤).

ولقلة إقامته قليل الدار والبستان والمزرعة والأهل والعيال
وسائر العلائق التي هي منشأ الاشتغال عن الخالق».

ومما يتوقى العبد به غوائل الصدور ويسلم صدره ثمانية:

١ - البعد عن تتبّع عورات الناس، وعثراتهم وزلاتهم.

أخرج أبو داود عَنْ مُعَاوِيَةَ، رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّكَ إِنْ أَتَبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ».

فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «كَلِمَةُ سَمِعَهَا مُعَاوِيَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا». ^(١) أي: كان يعمل بها.

فتتبعك لعورات الناس تتطلع ثم تطلع على ما يضر قلبك ويبعده
من السلامة، وبالله التوفيق.

وقد أخرج أبو داود ^(٢) عَنْ أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا

(١) صحيح . أخرجه أبو داود (٤٨٨٨) بإسنادٍ صحيح .

(٢) برقم (٤٨٨٠) وأحمد وغيرهما كثير وهو حديث صحيح لشواهده.

المُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مِنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يُفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»^(١).

٢- النظر فيما يستفيد المرء من الغل والحقد والحسد، ويأتي ربه بقلب مليء بالآفات.

فواعجباً أي مصلحة يجنيها في الدنيا والآخرة من سلامة صدره من راحة نفس ووقاية؟ والله المستعان.

٣- توفي الحسد والبغضاء سبب كفر اليهود وابن سلول ومعصية ابن آدم الأول حيث قتل أخاه.

وقد أخرج البخاري^(٢) عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى قُطَيْفَةٍ فَدَكِيَّتْ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَرَاءَهُ يُعَوِّدُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزَرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، قَالَ: حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنُ سُلُوكٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَإِذَا فِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

(١) وليس هذا من جنس التجسس لضرورة وقد فعله ﷺ مع ابن صياد

(٢) برقم (٤٥٦٦).

وَالْمُشْرِكِينَ عَبْدَةَ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ
فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، خَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَنْفَةَ
بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا^(١).

فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ،
وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنُ سَلُولَ: أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّهُ لَا
أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَلَا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، ارْجِعْ إِلَى
رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ^(٢)، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا
رَسُولَ اللَّهِ فَاغْشَيْنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ^(٣)، فَاسْتَبَّ
الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ، حَتَّى كَادُوا يَتَشَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلْ

(١) في قلبه النفاق والضيق من وجود النبي ﷺ في المدينة، وإلا فالغبار الذي يحصل

من أثر مرور الدواب حاصل لكل من جلس على الطريق، أينتظر من يجلس على

الطريق إلا غبار إثر مشي الدواب أم روائح المسك؟!

(٢) انظر التناقض يستحسن ما يقول، ثم يعلق القول بأحقته، ثم يستر كراهة دعوة

النبي ﷺ الناس في مجلسه، ومحاولة صد دعوته أن تسري في الناس فيقول:

«ارجع إلى رحلك ...»

(٣) هذا الطبيعي أن يصدر من هذا الصَّدَاعِ بالحق ﷺ.

النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا، ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ دَابَّتَهُ فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :

«يَا سَعْدُ ^(١) أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟ - يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي - قَالَ: كَذًا وَكَذَا»، قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ عَنْهُ، فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ، لَقَدْ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوَّجُوهُ فَيَعَصَّبُوهُ بِالْعِصَابَةِ، فَلَمَّا أَبَى اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ ^(٢).. الحديث.

٤- حمل النفس على حُبِّ الخير للآخرين، فإن ذلك يبعث على سلامة الصدر.

(١) فقد كان بين سعد وعبد الله بن أبي مودّة كانت، فيُشهده على إجرام ابن سلول وسوء أدبه .

(٢) فيها لها من فراسة فقد أخرج مكنون ابن سلول والدافع له على النفاق وعدم قبول الإيمان.

وفي الصحيحين^(١) عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وفي رواية مسلم: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ - أَوْ قَالَ: لِحَارِهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «.. فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحَّزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلَتَانِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»^(٢).

وفي حديث أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَدْنُ لِي بِالزَّانَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: «إِذْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا». قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتَحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتَحِبُّهُ لِأَبْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتَحِبُّهُ لِأَخْتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ

(١) البخاري (١٣) ومسلم (٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

لِأَخَوَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفْتَحْبُهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهُ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ». قَالَ: «أَفْتَحْبُهُ لِحَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهُ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِحَالَاتِهِمْ». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ^(١).

٥- البعد عن التعصّب فإنه ذريعة لإيغار الصدور، وفساد القلوب.

فأخرج البخاري ^(٢) عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، بِقُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ، فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ: فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟، وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟، وَمَا يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ: «أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا» قَالَ: جِبْرِيلُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} [البقرة: ٩٧]. «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢١١) بسند صحيح .

(٢) برقم (٤٤٨٠).

السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ نَزَعَتْ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتُتَ، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ فِيكُمْ». قَالُوا: خَيْرِنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ». فَقَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَانْتَقَصُوهُ، قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

٦- دعاء الله بسلامة الصدور كما قال أهل الإيمان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَوْتُوا وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٩١﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ٩٢﴾ الحشر.

٧- الهدية لمن وقع منه ما يدل على عدم سلامة الصدر.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تهادوا تحابوا»، و«تهادوا فإن الهدية تذيب حر الصدور»^(١).

٨- كراهية الظهور، والكبر والتعالي على الآخرين هذا، وتوفي رؤية النفس... فهذا من أعظم أسباب سلامة الصدر، وعلى المرء الإقبال على النفس والانشغال بالإخلاص، وترك الفتن والخلاف والشقاق فله مغبة سوء على القلوب وضيق الصدور.

وعن عامر بن سعد، قال: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَأَاهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّكِيبِ^(٢)، فَتَزَلَّ فَقَالَ لَهُ:

أَنْزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيِّ، الْخَفِيِّ»^(١).

(١) وتخريجه في كتابي «جامع أحكام الهبات»

(٢) وبها من فراسة وتوفيق.

فرجل يتمنى كبوة عالٍ أو قرين من زملائه ليظهر هو، يتمنى زوال ما عندهم من نعم رجاء أن يعادلهم، بل يسعى بالفعل للنيل منهم شفاء لغيظه، ليس إلا حسداً وبغياً...

فما لهذا وسلامة الصدر؟

فما له مثال هذا إلا كهذا الرجل المريض المجرم المؤلَّب على النبي ﷺ وقد كان النبي ﷺ لهذا الأثيم بمثابة الوالد يُكرِّمه ويعلمُّه ويدلِّه على ما تزكو به نفسه^(٢).

وهذه قصته:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ رحمته الله عليه عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالُوا: قَالَ زَيْدُ بْنُ اللُّصَيْتِ، وَهُوَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ وَعُمَارَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ يُزْعِمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيُخْبِرُكُمْ عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَعُمَارَةُ عِنْدَهُ: إِنَّ رَجُلًا قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

(٢) وقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ، أَعَلَّمَكُمُ... الحديث. أخرجه أبو

داود (٨) بسند حسن.

يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيَزَعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي هَذَا الْوَادِي، فِي شَعْبٍ كَذَا وَكَذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا، فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا، فَذَهَبُوا، فَجَاءُوا بِهَا. فَرَجَعَ عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَعَجَبٌ مِنْ شَيْءٍ حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنفَاءً، عَنْ مَقَالَةٍ قَائِلٍ أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَنْهُ بِكَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي قَالَ زَيْدُ بْنُ لُصَيْتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ وَلَمْ يَحْضُرْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: زَيْدٌ وَاللَّهِ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ. فَأَقْبَلَ عُمَارَةُ عَلَى زَيْدٍ يَجَأُ فِي عُنُقِهِ وَيَقُولُ: إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ فِي رَحْلِي لَدَاهِيَّةً وَمَا أَشْعُرُ، أُخْرِجْ أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ مِنْ رَحْلِي، فَلَا تَصْحَبْنِي. (١)

فتأمل كيف يعيش هذا المنافق في كنف النبي ﷺ يعلمه وينصحه ويدله على كل خير يعلمه له، ويحذره من كل شر يعلمه خوفاً عليه، وهو كذا مع أهله وذويه، كما أنه كذلك لبقية المسلمين.

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٣) بسند حسن .

ثم هذا المنافق يشكك في الوحي الذي ينزل عليه ويتهكّم على ضياع ناقته ﷺ وهو لا يعلم أين هي وهو وارد بصفته لا يعلم من الغيب إلا ما يُعلمه الله إياه.

ولما افتضح أمره لم يُسمع له حسًا كأشباهه ممن تلوّث صدورهم وجبنوا عن إظهار حقيقة ما انطوت عليه نفوسهم الخبيثة، والله المستعان.

ومثاله هو الآخر (فاسد الطوية):

ما أخرجه حديثه ابن أبي حاتم^(١) بإسنادٍ ثابتٍ حسنٍ عن عبد الله بن عمر قال: قال رجلٌ في غزوة تبوك في مجلسٍ يومًا: ما رأيتُ مثلَ قرأتنا هؤلاء لا أرغبُ بطونًا ولا أكذبُ ألسنةً ولا أجبنَ عندَ اللقاءِ فقال رجلٌ في المجلس: كذبتَ ولكِنَّكَ مُنافِقٌ لأخبرنَّ رسولَ الله ﷺ فبلغَ ذلكَ النبي ﷺ ونزلَ القرآنُ قالَ عبدُ الله: فأنا رأيتُهُ مُتعلِّقًا بِحَقَبِ ناقةِ رسولِ الله ﷺ تنكُّبُهُ الحِجَارَةُ وهو يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: {إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ} [التوبة: ٦٥] وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «{أَبَا اللَّهِ وَإِيَّاتِهِ

(١) في «تفسيره» (٦ / ١٨٢٩) ط الأصيل .

وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} «.

فهذا رجل يصلي مع النبي ﷺ ويذهب معَهُمْ ويأتي معهم، يكثر سوادهم، يتظاهر بالإسلام، ثم يطعن في أئمة الناس، قرآء القرآن لمرض في قلبه نحوهم، يظهره إذا أمن أن يُفطن لأفاعيله وكلامه، قطع الله دابرهم.

وإذا كان ذلك في هذا الزمان، زمان نزول الوحي الذي يفضحهم ويكشف سترهم ويخبر بخلاقهم، وأعمالهم ومعتقداتهم، فَلهُمْ أَحْوَالٌ وَصِفَاتٌ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ بَرَاءةٍ - وَمِنْهُمْ - وَمِنْهُمْ - يَذْكُرُ أَحْوَاهُمْ وَصِفَاتِهِمْ وَمَا يَعْتَمِدُونَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ حَتَّى يَتَخَيَّلَ أَنَّهُ مَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ يَذْكُرَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، فماذا عسى أن يكون في أيامنا ؟

نسأل الله النجاة منهم ومن أفاعيلهم .

والحاصل إجمالاً: أن غياب الوعي الديني والديني هو المؤدّي لكل بليّة في هذا الباب، النظر في السنن الكونية والعطايا الربّانية في تقسيم الأرزاق، والنظر في مآلات الحسد والبغي والغلّ وضغينة

الصدور، والراحة التي يُحصِّلها سليم الصدر من جرَّاء سلامة صدره.

مع الدعاء بإصلاح القلوب، والفقهِ بما يُصلح القلوب، ودفع الغلِّ عنها... وغير ذلك من أكبر المؤثِّرات على الصدر بالسلامة، والله المستعان.

تنبيه مهم:

بعض الناس يمنع من سوء الظن بإطلاق، ويحرِّمه أخذًا من قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (١٢) الحجرات.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِّنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (٢٨) النجم.

وهذا غلط في الفهم فإن الظنَّ المبنيَّ على دلائل وقرائن معمول به وله اعتبار، ومن هنا اعتبر ظن الرجل في زوجته التي ربما لم يكن شاهد رجلًا معها.

ولذلك أمر الله في الآية الأولى باجتنباب بعضه لا كله.

فظن الإنسان المبني على قرائن له اعتباره ويعمل به لا ينهي عنه،
وبعضه من أبواب الفراسات، بل يأتي الظن في النصوص بمعنى
اليقين .

لكن بعد ذلك قد يكون الظن حقيقة، وقد تكون بالعكس .

وفي «الطبقات الكبرى» لابن سعد^(١) بإسناد صحيح عن قيس بن
أبي حازم قال: لَمَّا مَاتَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ عُمَرُ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا
سُلَيْمَانَ، لَقَدْ كُنَّا نَظُنُّ بِهِ أُمُورًا مَا كَانَتْ» .
فهذه تبرئة لساحة خالد من جهة عمر رضي الله عنه .

مخالفات ومواقف مُشينة صدرت مع الحكم بسلامة الصدر^(١)

قد يفعل المرء شيئاً في ظاهره عدم سلامة الصدر وقد يستدل به البعض على عدم سلامة الصدر، والحق أنه ليس كذلك فكل شخص بحسبه، مع النظر في القرائن المحتقة بالشخص المحكوم عليه، ولذلك ليس هناك قاعدة مستقرة في هذا الباب، إنما لا بد من النظر في القرائن، وللفراسة عمل في هذا وبالله التوفيق.

وها أنا أذكر مواقف تبيّن ذلك وتوضحه :

الموقف الأول :

ففي الصحيح^(٢) في قصة كتابة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه إلى أناسٍ من المشركين ممن بمكة، يُخبرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ^(٣)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟» قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي

(١) وتكون فيها المخالفة بسبب الغفلة عن لازم الفعل.

(٢) برقم (٤٨٩٠) ومسلم (٢٤٩٤).

(٣) فهذا سرّ للنبي ﷺ بمسيره إليهم لفتح مكة كما سيأتي، ولم يكن يُخبر بوجهة مسيره إلا بعض الخُلص من أصحابه، وهذا في ظاهره خيانة.

كُنْتُ أَمْرًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مِنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَصْطَنَعَ إِلَيْهِمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا، وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ» فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» قَالَ عُمَرُ: وَنَزَلَتْ فِيهِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ} [الممتحنة: ١] .

وفي مسند أحمد^(١) بسند على شرط مسلم^(٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرَادَ غَزْوَهُمْ، فَدَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَرْأَةِ الَّتِي مَعَهَا الْكِتَابُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ كِتَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا، وَقَالَ: «يَا حَاطِبُ، أَفَعَلْتَ؟» قَالَ: نَعَمْ، أَمَّا إِنِّي لَمْ أَفْعَلْهُ غِشًّا لِرَسُولِ اللَّهِ - أَوْ قَالَ: غِشًّا يَا رَسُولَ اللَّهِ - وَلَا نِفَاقًا، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ مُظْهِرُ رَسُولِهِ، وَمُتِمُّ لَهُ أَمْرَهُ، غَيْرَ أَنِّي

(١) برقم (١٤٧٧٤).

(٢) كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٢٨٥) وهو كذلك .

كُنْتُ عَزِيزًا بَيْنَ ظَهْرِهِمْ، وَكَانَتْ وَالِدَتِي مَعَهُمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَخْجِذَ هَذَا عِنْدَهُمْ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَلَا أَضْرِبُ رَأْسَ هَذَا؟ قَالَ: « أَتَقْتُلُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ».

فظاهر ما فعله حاطب رضي الله عنه إنما هو نفاق أو ردة عن الدين ولذلك قال عمر رضي الله عنه « دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ».

وفي لفظ في الصحيحين قال عمر رضي الله عنه: « دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ .. » ^(١).

وفي رواية ^(٢):

فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ خَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، فَدَعْنِي فَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ... الحديث .

وفي رواية ^(١): « يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْكِنِّي مِنْهُ فَإِنَّهُ قَدْ كَفَرَ، فَأَضْرِبْ

(١) البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤).

(٢) البخاري (٣٩٨٣)

عُنُقُهُ» (٢) وصحح إسنادهما الحافظ ابن حجر (٣).

وَلَمْ يُنْكِرِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَسْمِيَّتَهُ بِذَلِكَ ، إِذْ كَانَ مَا فَعَلَ
عَلَامَةً ظَاهِرَةً عَلَى النِّفَاقِ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ (٤).

ولكن لعلامات وقرائن في حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يُحْكَمْ على ما في داخله بالكفر ولا بالنفاق مع تخطيطه فيما فعل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فلم يُجَرَّبْ عليه الكذب ولا النفاق مع شهوده بدرًا، مع صدقه فيما قال واعترافه، وتأويله، وإمكانية ذهوله عن لازم فعله، وقرينة في نص الرسالة التي أرسلها لهم لمن تأمل ..

(١) وقد أخرجها البزار (١٩٧)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٤٤٣٦)،

والحاكم (٧٧ / ٤) وغيرهم، وإسناد هذه الزيادة حسن.

(٢) وهذا إذا كان الحامل له على ذلك نصره الكفار، ومحبة دينهم، وإرادة علوهم،

أما إذا كان الحامل على ذلك مصلحة دنيوية وهو مع ذلك يبغض دين الكفار؛ فلا

يكفر كما بينته في كتابي «التوضيحات الجلية»

(٣) في «الفتح» (٣٧١ / ١٢) وفي «المطالب العالية» (٤٨٣ / ١٠)

(٤) انظر «السنن الكبرى» للبيهقي (٣٥١ / ١٠).

كل هذا يؤيد المنع من الحكم على حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه بالكفر أو بالنفاق الذي هو ملئ الصدر بالضيق والحنق على الإسلام وأهله، ومحبة نصره الكفر على الإسلام ، والله أعلم .

الموقف الثاني:

قصة عمر مع أبي هريرة رضي الله عنه

التي رواها مسلم ^(١) أن النبي ﷺ قال لأبي هريرة رضي الله عنه «اذهبْ بِنَعْلَيْ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، قال أبو هريرة: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فَضْرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْ فَخَرَزْتُ لِاسْتِي، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً، وَرَكِبَنِي عُمَرُ، فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثَنِي بِهِ، فَضْرَبَ بَيْنَ

ثَدْيِي ضَرْبَةً خَرَرْتُ لِاسْتِي، قَالَ: ارْجِعْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عُمَرُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ، وَأُمِّي، أَبْعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَكَلَّ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلَّاهُمْ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَخَلَّاهُمْ».

فظاهر ما فعل عمر أنه اعترض على فعل أبي هريرة الذي هو بأمر من رسول الله ﷺ، بل ضرب أبا هريرة الذي قام بأمره ﷺ، وهذا فيه ما فيه من عدم سلامة الصدر لأوامره ﷺ، وعدم رفع الرأس بتوجيهه والاعتراض على أمره، وعلى من يُنفذ أمره ﷺ...

ولكن بالنظر إلى سيرة عمر، وغيرته على الإسلام - ومنها ما في هذا الموقف أن يتكل الناس على هذا ويتركوا العمل - وإتيانه بأبي هريرة للنبي ﷺ وبيان وجهة نظره أمامه على هيئة بيان ما يراه على سبيل الاسترشاد.. وبيان مواقفه الكثيرة العظيمة لمصلحة رسول الإسلام، وتعاليم الإسلام، وأتباع دين الإسلام، وشدته على المعترض على أمره ﷺ كذي الخويصرة التميمي الذي اعترض على قسمة رسول الله ﷺ ونسبه إلى الجور، واتهمه في القسمة... إلخ.

كل هذا من الموانع من الحكم على عمر بضد سلامة الصدر نحو أوامره عليه السلام .

الموقف الثالث:

كلام سودة بنت زمعة رضي الله عنها بشأن سهيل ابن عمرو حين أُسر في غزوة بدر

أخرجه ابن إسحاق^(١) وأبو داود بإسناد حسن عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، قال: قُدِمَ بِالْأُسَارَى حِينَ قُدِمَ بِهِمْ، وَسَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ آلِ عَفْرَاءَ، فِي مَنَاحِيهِمْ عَلَى عَوْفٍ وَمُعَوِّذٍ ابْنَيْ عَفْرَاءَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِنَّ الْحِجَابُ.

قَالَ: تَقُولُ سَوْدَةُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَعِنْدَهُمْ إِذْ أُتِينَا، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ

(١) كما في «سيرة ابن هشام» (٥٥٣/١) بإسناد حسن.

وأخرجه أيضاً أبو داود (٢٦٨٠) والحاكم (٢٤/٣) والبيهقي في «الكبرى»

(٩/١٥١) كلهم من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن

يحيى بن عبد الله به.

الْأَسَارَى، قَدْ أَتَيْتِي بِهِمْ. قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ، وَإِذَا أَبُو يَزِيدَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو فِي نَاحِيَةِ الْحُجْرَةِ، مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلٍ قَالَتْ: فَلَا وَاللَّهِ مَا مَلَكَتُ نَفْسِي حِينَ رَأَيْتُ أَبَا يَزِيدَ كَذَلِكَ أَنْ قُلْتُ: أَيُّ أَبَا يَزِيدَ: أَعْطَيْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ، أَلَا مَتَمَّ كِرَامًا، فَوَاللَّهِ مَا أَنْبَهَنِي إِلَّا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْبَيْتِ: «يَا سَوْدَةُ، أَعْلَى اللَّهِ وَرَسُولُهُ تُحَرِّضِينَ؟» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا مَلَكَتُ نَفْسِي حِينَ رَأَيْتُ أَبَا يَزِيدَ مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ أَنْ قُلْتُ مَا قُلْتُ (١).

فكلامها ظاهر فيما استنكره ﷺ عليها ولكن بالنظر إلى سيرتها ومواقفها من الإسلام، وكلامها في عذرها في ذات الموقف الذي

(١) والواضح أنها قالت هذا علي سَجِيَّتِهَا حينما رأت رجلاً زعيماً من زعماء قريش، ورسولاً من رُسُلِهِمْ بهذا المنظر، وإلا فحاشاها ﷺ ما كانت تُولِّبُ علي رسول الله ﷺ أبداً هذا معلوم، فلا يُظَنَّ بِأَمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ إلا خيراً، لا سيما وقد نبهها ﷺ وانتبهت ﷺ، فماذا؟

وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢٠١)

مُبْصِرُونَ (٢٠١) الأعراف. والله الموفق .

نحن بصدد، وغير ذلك يمنع معه من القول بميلها إلى محبة أهل الكفر أو التحريض على الإسلام وعدم سلامة صدرها لأهله، أونصرة كافر والتعاطف معه، والتحريض على الله تعالى ورسوله ﷺ حين وَقَعَ فِي الْأَسْرِ.

الموقف الرابع :

في قصة تخلف كعب بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ في غزوة تبوك : قصته مشهورة معروفة في تخلفه هو وصاحبيه عن المسلمين في غزوة تبوك^(١).

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ، حَضَرَنِي بَثِّي، فَطَفِئْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ: بِمِ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟ وَأُسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ لِي: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا، زَاغَ عَنِّي الْبَاطِلُ، حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُو مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَصَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ

(١) وحديثه في صحيح البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩).

جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ
إِلَيْهِ، وَيَخْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضِعَّةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ،
حَتَّى جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ»
فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ
قَدْ ابْتِغَتْ ظَهْرَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي، وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ
عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بَعْدُ،
وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ، لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ
حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ وَلَئِنْ
حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَا رَجُوفِيهِ عُقْبَى اللَّهِ، وَاللَّهِ
مَا كَانَ لِي عُذْرٌ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ
عَنْكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هَذَا، فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ
فِيكَ» فَقُمْتُ، وَثَارَ رَجَالٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا
عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَأَنَّكَ

ذَنبَكَ، اسْتَغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤْنَبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي.. الحديث.

فلأجل سيرته ومنها شهوده الغزوات سوى غزوة بدر لكونه لم يكن هناك بدر ، وصدقه - ولا سيما في هذا الموقف - مع حسن مَنَظِقِهِ، ولم يكن قبل من أهل الذنوب كما شهد له قومه كما تقدّم إلخ....

فلم يُحكم عليه بالنفاق مع تشابه فعله بفعل المنافقين وهو التخلف عن النبي ﷺ في تلك الغزوة مع الجيش (جيش العُسرة)، ولم يتهم بعدم سلامة الصدر لا سيما مع ثباته على الإيمان وقوّته جدًّا في قلبه، فلم تزعزعه النكبات مهما كانت قوية، وسلامة صدره جهة الإسلام والمسلمين، ومقامه الصدق في الإسلام.

فقد أخرج ابن أبي شيبة ومن طريقه الطبراني بسند حسن عن كعب بن مالك في حديثه قال: «... فخرَجْتُ فَإِنِّي لَأَمْشِي فِي السُّوقِ إِذَا النَّاسُ يُشِيرُونَ إِلَيَّ بِأَيْدِيهِمْ، وَإِذَا نَبْطِي مِنْ نَبْطِ الشَّامِ يَسْأَلُ عَنِّي، فَطَفَقُوا يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ بَعْضِ قَوْمِي بِالشَّامِ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا مَا صَنَعَ بِكَ صَاحِبُكَ، وَجَفَوْتُهُ عَنْكَ، فَالْحَقُّ بِنَا،

فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْكَ بِدَارٍ هَوَانٍ وَلَا دَارٍ مَضِيعَةٍ ، نُوَاسِكَ فِي أَمْوَالِنَا ، قَالَ : قُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ؛ قَدْ طَمَعَ فِي أَهْلِ الْكُفْرِ ، فَيَمَّمْتُ بِهِ تَنُورًا فَسَجَرْتُهُ بِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَعَلَى تِلْكَ الْحَالِ الَّتِي قَدْ ذَكَرَ اللَّهُ ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْنَا الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَضَاقَتْ عَلَيْنَا أَنْفُسُنَا ، صَاحِبَهُ خَمْسِينَ لَيْلَةً مِنْ نَهْيٍ عَنْ كَلَامِنَا ، أَنْزَلَتِ التَّوْبَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ أَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى الْفَجْرَ»^(١).

وفي رواية^(٢) سندها حسن عنه قال في حديثه: «...فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارَ هَوَانٍ، وَلَا مَضِيعَةً، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: هَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ، قَدْ بَلَغَ بِي مَا قَدْ وَقَعْتُ فِيهِ أَنْ طَمَعَ فِي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ ، فَعَمَدْتُ بِهَا إِلَى تَنُورٍ فَسَجَرْتُهُ بِهَا ... الحديث.

وهذا دال على قوة إيمانه، وأن إيمانه لم يضعف بهجر النبي ﷺ له، ولا تنفس بتعلل بضيق لستر حب المال والشرف والجاه..

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٢٣) والطبراني (١٩/ ٥٣).

(٢) أخرجه الطبراني (١٩/ ٤٧).

بخلاف السّفلة مرضى القلوب الذين يحملهم الهجر للتأديب من قبل العالم والحاكم والكبير على الفجور في الخصومة، وإظهار العداوة، والوَلَع في تبديل الحقائق لإظهار الأعذار عند الخلق، وتحسين مظهره لتوقي النقد مِمَّن ربما لا يَنْتفع بتأييدهم من العامة، رزقنا الله الفهم الحسن والتوفيق والسداد.

البصير يخشى أن يختم له بسوء شيء في صدره اطلع الله عليه

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، التَّمَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ، لَا يَدْعُ لَهُمْ شَاذَةً وَلَا فَاذَةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأُ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجَرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعَجَلَ الْمَوْتُ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ، وَدُبَابُهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي

ذَكَرْتَ أَنفَا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ وَذُبَابُهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ^(١)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢).

فالكریم سبحانه لا یمنعه من ختام حیاته بالخير مع ما فعل مما ظاهرة النصره لدينه إلا لشيء علمه في صدره، ةولم تكن نفسه نفس مسلمة كما قال ﷺ في شبيهه في رواية أبي هريرة رضي الله عنه^(٣) - ولعله هو نفس الرجل الذي لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»، ثُمَّ أَمَرَ

(١) وقد قال ﷺ: «وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَحْجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» أخرجه البخاري (٥٧٧٨) ومسلم (١٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٨) ومسلم (١١٢).

(٣) الذي أخرجه البخاري (٣٠٦٢) ومسلم (١١١).

بِلَا لَا فَنَادَى بِالنَّاسِ: «إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ».

سلامة الصدر على الشخص قد تُعرف بالقرائن

اعلم أن عدم سلامة الصدر قد تعرف بالفراسة، والفراسة باب واسع .

وقد استكشف موسى عليه السلام بفراسته غواية الإسرائيليين لما تكررّت مشاكساته مع غيره وأراد استخدام موسى النبي عليه السلام لإعانتته على ذلك.

فلما رآه تكررّت منه المشكلة، وتكرّر منه الاستغاثة بموسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ فِي الْمَدِينَةِ خَافِيًا يَتَرَقَّبْ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَمْتَصِرُ﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ^ط إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴿ القصص .

وهناك مواقف كثيرة من سيرة النبي ﷺ في ذلك عن النبي ﷺ

الفهرس

- ٣ مقدمة
- ٤ معنى سلامة الصدر وأمثلة ذلك في الأنبياء
- ٥ فهذا نبينا محمد ﷺ
- ١٠ وهذا إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام
- ١١ وهذا نبي الله يوسف عليه السلام
- ٢٠ مدح النبي ﷺ أصحاب القلوب النقية
- ٢٠ من البواعث لي على الكتابة فيه
- ٢٨ أدلة ضرورة تحقيق سلامة الصدر
- ٣٠ من سنة رسول الله ﷺ ما يشهد على حالة سلامة الصدر
- ٣٢ سلامة الصدر من أسباب نيل الفضل والشرف
- سلامة الصدر للأرحام
- ٣٩ سلامة الصدر للجيران
- ٤١ ومما يحث على سلامة الصدر للأصحاب
- ٤٣ سلامة الصدر بين علي بن أبي طالب والزيبر
- ٤٤ سلامة صدر علي بن أبي طالب لطلحة بن عبيد الله
- ٥١ سلامة الصدر بين عمار بن ياسر وعائشة رضي الله عنها

- ٥٢ سلامة نية الزبير وعائشة وطلحة عليهم السلام في تلك المواقف.....
- ٥٥ سلامة الصدرين علي ومعاوية عليهم السلام مع وجود القتال.....
- ٦٤ ١- موقف عبد الله بن عمر عليه السلام في الدفاع عن عثمان.....
- ٦٥ ٢- عبد الله بن سلام عليه السلام.....
- ٦٦ ٣- سعد بن أبي وقاص عليه السلام.....
- ٦٧ ٤- موقف الحسن بن علي عليه السلام.....
- ٦٧ ٥- وهذا موقف علي بن أبي طالب عليه السلام.....
- ٦٨ وكان علي عليه السلام من أدفع الناس عن عثمان عليه السلام.....
- ٦- إنكار جابر بن عبد الله ومحمد بن مسلمة عليهم السلام على الخارجي المحتج بالقرآن.
- ٦٨
- ٦٩ ٧- موقف عبد الله بن الزبير عليه السلام.....
- ٨- موقف أبي هريرة عليه السلام.....
- ٦٥
- ٩- موقف أم المؤمنين صفية عليها السلام.....
- ٧٠
- ١٠- وموقف أم حبيبة أم المؤمنين عليها السلام ذكرته في غير هذا الوطن.
- ٧١ سلامة صدورهم لكعب بن مالك وصاحبيه بعد ذنبهما في التخلف عن رسول الله ﷺ
- ٧١ في غزوة تبوك.....
- ٧٣ سلامة صدر أبي بكر الصديق عليه السلام لأصحاب النبي ﷺ ممن همدونه في المنزلة

- ٧٤ سلامة صدر حذيفة رحمته الله للصحابه رحمته الله مع قتلهم لأبيه خطناً أثناء غزوة أحد
- ٧٥ سلامة الصدور بين أمهات المؤمنين وغيرهن، وفي هذا مواقف.....
- ٧٧ موقف آخر.....
- ٧٩ سلامة صدور الصحابة رحمته الله حتى في نقاط الخلاف بينهم.....
- ٨١ سلامة الصدر بين عمر وخالد بن الوليد.....
- سلامة الصدر بين عمر بن الخطاب والعباس بن عبد المطلب وموقف كل منهما يوم
- ٨٣ إسلام أبي سفيان بن حرب.....
- سلامة صدر حاطب بن أبي بلتعة يوم كتب إلى كفار قريش يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وسلم
- ٨٩ لفتح مكة.....
- سلامة صدر علي بن أبي طالب نحو جعفر بن أبي طالب وأبي بكر أزواج أسماء بنت
- ٩٢ عميس من قبله.....
- ٩٥ سلامة صدر المسور بن مخرمة لمعاوية أمير المؤمنين رحمته الله مع أخذه عليه ماخذ
- ٩٧ موقف لمعاذ بن جبل رحمته الله يدل على محاسن ما في صدره نحو الصحابة.....
- ٩٨ وهذا موقف آخر:
- وهذا رجل امتلأ قلبه خزعبلات وغلا على عثمان بن عفان فبين له
- ٩٨ فرجع وبكى لصفاء قلبه فلا نامت أعين المتعصبين للباطل.....
- ٩٩ سلامة الصدور بين العلماء.....

- ١٠٠ فقد كان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون رحمهم الله كذلك.
- ١٠٢ ودونك هذا المثل الرائع:
- ١٠٤ تنبيه:
- ١٠٨ الأسباب الشرعية المعينة على تحقيق سلامة الصدر ستة.....
- ١١٣ ومما يتوقى العبد به غوائل الصدور ويسلم صدره ثمانية.....
- ١٢٣ ومثاله هو الآخر (فاسد الطوية).....
- ١٢٧ مخالفات ومواقف مُشينة صدرت مع الحكم بسلامة الصدر.....
- ١٢٧ **وها أنا أذكر مواقف تبين ذلك وتوضحه:**
- ١٢٧ **الموقف الأول:**
- ١٣١ **الموقف الثاني:**
- ١٣٣ **الموقف الثالث:**
- ١٣٥ **الموقف الرابع:**
- ١٣٩ **البصير يخشى أن يختم له بسوء شيء في صدره اطلع الله عليه.....**
- ١٤١ **سلامة الصدر على الشخص قد تُعرف بالقرائن.....**
- ١٤٣ **الفهرس.....**